وزارة التعليـم العالـــي و البحـث العلمـــي

جامعـة محمد بوضيـاف – المسيلـة –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: م أ ع/ 2014/026

# الخطاب النقدي عند صلاح فضل من خلال كتابه بلاغة الخطاب وعلم النص

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي فرع: أدب عربي تخصص: نقد أدبي

**إعداد الطالبة:**

سارة مشتر

**إشراف الأستاذ:**

بوديسة بولنوار

**تاريخ المناقشة:**

**لجنة المناقشة:**

- .....رئيسا
- .....مشرفا
- .....ممتحنا

السنة الجامعية : 1436-1437 هـ / 2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم ، هوسبحانه وحده صاحب النعم، وأهل الثناء، له الحمد على نعمة الإيمان والعلم، وأسأله التوفيق والسداد في القول والعمل، والصلاة والسلام على من أرسله الله جل جلاله معلما ومربيا ومتمما لمكارم الاخلاق، خاتم الانبياء والمرسلين وسيد الاولين والآخرين، محمد بن عبد الله الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

**شكر وتقدير :**

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك... ولا يطيب النهار إلا بطاعتك... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك.... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك.... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله

بعد شكر الله سبحانه وتعالى، أشكر أستاذي المشرف بوديسة بولنوار الذي تفضل علي بتقديم المساعدة والتوجيه وتزويدي بملاحظاته القيمة إليه أتقدم بخالص امتناني وشكري وتقديري .

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة مناقشة الرسالة على تفضلهم بقبول مناقشة رسالتي فمنحوني قسطا من وقتهم الثمين بغية تقويم وتقييم هذا العمل المتواضع.

كما أتقدم بالشكر إلى جميع الأساتذة الذين أشرفوا على تدريسي في السنوات الخمس

وإلى كل من ساهم بالكثير أو القليل، من قريب أو حتى من بعيد في إخراج هذا العمل إلى النور.

وفي الأخير أحمد الله جل وعلا الذي أعانني على إنهاء هذا العمل .

# إهداء :

بسم الله الرحمن الرحيم ( قل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ) صدق الله العظيم

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى من علمني العطاء بدون انتظار... إلى من أحمل إسمه بكل افتخار... إلى من علمني النجاح والصبر.... إلى روح والدي الذي زرع في روح التحدي، جعل الله أجر هذا العمل في ميزان حسانته

أبي رحمه الله

إلى ملاكي في الحياة ... إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني...إلى سمة الحياة وسر الوجود... إلى من كان دعاؤها سر نجاتي وحنانها بلسم جراحي... إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة حفظها الله ورعاها وأطال في عمرها

إلى من لهم أكبر وعليهم أعتمد... إلى من بوجودهم أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها إخواني: محمد، حكيم، حسن، حسام، وأختي شيماء

إلى توأم روحي ورفيقة دربي... إلى صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة إلى من رافقتني حتى الآن

صديقتي الغالية نادية

إلى أعز صديقاتي: أحلام ، رحمة

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

# مقدمة

**مقدمة :**

لقد اتسم النقد العربي الحديث بالجدة والحداثة والقدرة الفعالة في استمالة النفس وجعل القارئ له أو المتلقي يلمسه بكل جوارحه وعقله، وحتى المبدع يرى فيه ذاته فهذا النقد، لسبب واحد هو أنه لا يخاطب الوجدان والعاطفة، بل يخاطب العقل والذوق المتعارف عليه والذي هو الحكم الأول له، لأنه يعتمد على وسائل ومناهج نقدية حديثة لم يكن لها وجود من قبل، وهذه الوسائل والمناهج غايتها استنطاق النصوص، من أجل التأثير في القارئ والمتلقي والدفع به إلى السمو بأفكاره والارتقاء بها.

وتهدف هذه الدراسة إلى إضاءة جانب من جوانب العملية النقدية، وأساسا لا ينهج النقد دونه، وهو الجانب الاصطلاحي الذي يشكل ركيزة من ركائز العلوم في حقول المعرفة المختلفة، خاصة أن مفهومي الخطاب والنص – المعنيين بهذه الدراسة – من أكثر المفاهيم رواجا وتداولا في الدرس النقدي الحديث، العربي منه والغربي على حد سواء كما أنهما في الوقت ذاته من أكثر المفاهيم التباسا واشتباها، بمفاهيم متاخمة شاعت في كتابات النقاد العرب المحدثين، وإذا كان هذا الالتباس شأن المصطلح عموما، إلا أنه في هاذين المصطلحين يزداد وضوحا وتفاقما.

من هنا كان الجديد الذي تعد به هذه الدراسة يتمثل في الوقوف على المشهد الملتبس للمفهومين عند العرب والغربيين، ومحاولة التوصل من استعراضهما إلى مفهوم واضح الحدود، وأما الجانب التطبيقي فلعله يأتي استكمالا وإثباتا للفكرة الاساسية التي عانى منها النقد العربي الحديث وهي تشوش المفهومين الخطاب والنص واضطرابهما في الدراسات النقدية، ومن بين الدوافع والأسباب التي قادتني إلى الخوض في غمار هذا البحث ومحاولة كشف خباياه منها ما هو ذاتي وما هو موضوعي، أما فيما يخص اختياري الذي كان نابعا عن قناعة شخصية مني بالموضوع، من أجل الاطلاع وحب ماهية هذا الموضوع وتنمية أفكاري بمزيد من المعلومات وإعجابي بمقياس النقد الأدبي،

أما رؤيتي الموضوعية تكمن في كونه يشمل دراسة شاملة وواسعة الأبعاد لأنني حاولت الجمع بين النظري والتطبيقي، إذ أن معظم البحوث القديمة والحديثة أولت عنايتها بالجانب النظري، فكان التساؤل عن رؤية الناقد من خلال كتابه يدعونا إلى طرح التساؤلات التالية:

- ما هي المفاهيم الأوضح والأدق للخطاب والنص من حيث المفهوم والمصطلح في النقد الغربي والعربي ؟
- وما هي المفاهيم التي اعتمدها صلاح فضل في تحديد المصطلحين وتبسيطهما؟

هذه الاسئلة هي الأخرى كانت حافزا لتناول هذا الموضوع المعنون "بالخطاب النقدي عند صلاح فضل من خلال كتابه بلاغة الخطاب وعلم النص" .

وبما أن المنهج يعتبر الركيزة الأساسية لأي عمل فكري مهما كان نوعه فقد اعتمدت في إنجاز هذا البحث على المنهج التاريخي الذي يعد منهجا تزامنيا تعاقبيا تطوريا، وقد اعتمدته في التأصيل لمفهومي الخطاب والنص، كما أن للمنهج التحليلي مكانة التاج وذلك من خلال الجانب التطبيقي الذي يستعين بتحليل الظاهرة المدروسة .

وللإجابة على الأسئلة المطروحة اعتمدت خطة تتمثل في مقدمة وفصلين وخاتمة ، حيث تطرقت في المقدمة إلى تمهيد بسيط في النقد وعن الموضوع الذي سأتناوله، أما الفصل الأول المعنون "بالنص والخطاب (المصطلح والمفهوم)" فقد تحدثت فيه عن النص والخطاب في المعنى اللغوي ومن المنظور النقدي، وعن مفهوم النص والخطاب عند العرب وعند الغرب، وهو فصل نظري.

في حين جاء الفصل الثاني موسوما "بالنص والخطاب بين النظرية والتطبيق" وهو فصل تطبيقي بحت تمحور حول أهم المسائل النقدية في الكتاب، كما تحدثت عن دلالة

المصطلحين عند صلاح فضل من خلال كتابه، وأيضا المصطلحات المرافقة للمصطلحين.

أما الخاتمة فقد جمعت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة واستعنت في هذا البحث بمجموعة من المراجع من بينها "إستراتيجيات الخطاب" لعبد الهادي بن ظافر الشهري، و"تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص"، لعبد القادر شرشار، وكتاب "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب" لمحمد خطابي، و"النص ممارساته وتجلياته" لمنذر عياشي، كما استعنت ببعض المعاجم لتحديد المفاهيم كمعجم "لسان العرب" لابن منظور، "تاج اللغة وصحاح العربية" للجوهري، إضافة إلى بعض المراجع المترجمة، "مدخل إلى علم النص" لزاتسيسلاف واورزنياك، و"حفريات المعرفة " لميشال فوكو، هذه المراجع وأخرى كانت زادا لي اعتمدته في دراستي.

وككل دراسة لا تخلو من المصاعب والعراقيل، فقد اعترضتني بعض العقبات مثل كثرة وتعدد الآراء حول مفهومي الخطاب والنص وصعوبة ضبط المصطلحين في النقد العربي، إضافة إلى حجم القضايا التي عالجها الكتاب، فاخترت ما كان أقرب لموضوع البحث وهذا من أجل وضع المصطلحين في الصورة، وعلى الرغم من ذلك حاولت الإلمام بجوانب الموضوع ليكون البحث ذا قيمة علمية .

وفي الأخير أحمد المولى سبحانه وتعالى على رحمته بي وتوفيقه لي، ثم أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "بوديسة بولنوار" الذي أعانني في إنجاز هذا البحث بملاحظاته وتوجيهاته السديدة، وصبره على الباحث، فله كل التقدير والامتنان.

# الفصل الأول

# الخطاب والنص (المصطلح /المفهوم )

**أولا : مفهوم النص والخطاب**

**1- النص / الخطاب في المعنى اللغوي**

**2- النص / الخطاب من المنظور النقدي**

**ثانيا : مفهوم النص والخطاب في حقل الدراسات النقدية**

**1- مفهوم الخطاب عند العرب وعند الغرب**

**2- مفهوم النص بين التراث العربي والتراث الغربي**

**أولا : مفهوم النص والخطاب**

**1-النص /الخطاب في المعنى اللغوي:**

إن مصطلح النص يمثل إشكالية معقدة وكبيرة، وذلك لأنه لم يعد يقتصر على دلالته المعجمية والإصلاحية المعروفة بل راح يكتسب دلالات جديدة فقد تداخل مع عدد من المصطلحات المجاورة مثل مصطلحي الخطاب Discours أو العمل والأثر الأدبي Work الشيء الذي جعله مصطلحا فضفاضا لا يجد تعريفا واحدا.

لقد جاء في لسان العرب تحت مادة " ن، ص، ص" ما يلي :

"نصص، النص: رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصا، رفعه، وكل ما أظهر فقد نص، ومن ذلك: المنصة، وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري، أرفع له وأسند، ويقال: نص الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه، ونصت الضبية جيدها، رفعته.....، ونص الرجل نصا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده، ونص كل شيء منتهاه"[1].

فمن هذا المعنى اللغوي يظهر جليا أن النص يحمل معنى الارتفاع والظهور والاستقصاء فإذا حاولنا الربط بينه وبين المعنى الاصطلاحي لوجدنا أن النص غايته إظهار ما في نفس قائله وتوضيحه للمتلقي فالمبدع أو المنتج للنص حين كتابته يحاول استقصاء كل ما في دخيلته للإبانة عنه وكشف الغموض وإظهار الحقيقة للآخرين وبذلك يمكنه التواصل معهم وإبلاغ مقاصده إياهم.

[1]- ابن منظور، لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، ج2، مادة "نصص"، ص 4441.

"وأصل النص أقصى الشيء وغايته ثم سمي به ضرب من السير السريع قال ابن الأعرابي النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنص التعيين على شيء ما، ونص كل شيء منتهاه.

وفي الحديث عن علي رضي الله عنه قال: "إذا بلغ النساء نص الحقاق، فالعصبة أولى"، يريد بذلك الإدراك والغاية، وقال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده، فالنص عند الفقهاء "نص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام"[1].

فمادة "نص" تأخذ معاني متعددة في اللغة وهذا حسب الاستعمال والتوظيف في الجمل، ونجد لفظ "نص" كثير الاستخدام في كتابات السلف الأصولية والفقهية، فكثيرا ما يتداول لدينا نص الحديث ونص القرآن الكريم.

ويتضح مما تورده المعاجم القديمة والحديثة "أن الدلالة الحديثة لمصطلح النص لم تكن غائبة كليا في المعجم العربي، وهي تلتقي أيضا – كما ذهب إلى ذلك باحث عربي معاصر– مع ولادة المصطلح في اللاتينية التي تشير إلى معنى بلوغ الغاية والاكتمال في الصنع"[2]، "ومصطلح النص "Text" في اللغات الأجنبية يشتق من الفعل Textère الذي يعني يحوك Weare أو ينسج ويوحي بسلسلة من الجمل والملفوظات المنسوجة بنيويا ودلاليا"[3].

---

[1]– المرجع السابق، ص 4442.

[2]– فاضل ثامر، اللغة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص 71.

[3]– المرجع نفسه، ص 72.

أما بالنسبة للخطاب فقد ورد في " لسان العرب" لابن منظور في مادة (خ.ط.ب) أن:

"الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن التهذيب: قال بعض المفسرين في قوله تعالى: وفصل الخطاب، قال: هو أن يحكم بالبينة أو اليمين، أما بعد، وقيل: فصل الخطاب الفقه في القضاء"[1].

إذن فالخطاب هنا يعني الكلام، وخاطبه بالكلام يعني الخطاب الشفاهي وتقصد به توجيه الكلام من المرسل إلى المرسل إليه، أو من المتكلم إلى السامع والمخاطبة فيها مشاركة طرفي الخطاب في إنتاجه وتكوينه، أما فصل الخطاب يمكن أن نقول القدرة على التمييز وهي حكمة ربانية لكن في سياقات أخرى نجده يتعلق بالجانب الرسمي أي الكتابي ومن ثم يتميز نصا فالخطاب له دور كبير في تبليغ المقاصد والتواصل مع الآخرين.

"وقد عدّ الرازي صفة فصل الخطاب، من الصفات التي اعطاها الله تعالى لداود، معتبرا إياها من علاقات حصول قدرة الإدراك والشعور، والتي يمتاز بها الإنسان على أجسام العالم الأخرى من الجمادات والنباتات وجملة الحيوانات"[2].

ففصل الخطاب من الأمور التي خص بها الله نبيه داوود عليه السلام على سائر البشر فمنحه القدرة على التمييز بين الحق والباطل وبين الخطأ والصواب وكذا الفصل بين ما هو سوي عما هو غير سوي.

كما ترددت مادة "خ.ط.ب" في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، موزعة على اثنتي عشرة سورة، ويصعب إحصاء مدى تواتر هذا المصطلح في كتب الحديث والسيرة "[1].

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، يوسف خياط، ج2، ص1194–1195.

[2]– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتجددة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 35.

وقد وردت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة ومتنوعة، وكل صيغة تحمل دلالة معينة حسب الآية التي وردت فيها، إلّا أنها تبتغي لها علاقة ورابطة دلالية في المعنى العام مع الجذر أو من الأصل "خ.ط.ب" الذي تفرعت وتولدت منه نذكر من بين هذه الصيغ في قوله تعالى:{{ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا }}[2] سورة الفرقان [الآية 63] ، ففي هذه الآية جاءت على صيغة الفعل، وفي قوله تعالى أيضا :{{ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا }}[3] سورة النبأ [الآية 37] ، وهنا على صيغة "خطاب " وهو مصدر وكذلك قوله تعالى عن داوود عليه السلام : ((و شددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب ))، كما نجد العرب استعملوه بصيغ مختلفة متنوعة و أبرز ما ورد في ذلك، قول أبي اسحاق: " الخطبة عند العرب الكلام المنثور المسجع ونحوه "[4].

وهذا يوحي بأّن الخطاب يعني الكلام الذي يحمل موضوعا معيّنا وهو موجّه إلى القرّاء والسّامعين بغية التّأثير فيهم وتبليغهم قصدا معينا متخذا بذلك عدة وسائل مختلفة.

كما أورد قولا آخر قريبا من هذا المعنى هو: "والمخاطبة مفاعلة: من الخطاب والمشاورة"[5].

---

[1]– ينظر: عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006، ص9.

[2]– القرآن الكريم، رواية الإمام ورش، سورة الفرقان، الآية 63.

[3]– القرآن الكريم، سورة النبأ، الآية 37.

[4]– ابن منظور، لسان العرب، يوسف خياط، ص 1195.

[5]– ابن منظور، المرجع نفسه، ص 1195.

ففيه يحدث تفاعل بين المبدع والمتلقّي، وهذا الأخير يصبح بدوره منتجا ثانيا للخطاب وصانعا له، بحيث يتواصل الطرفان (المبدع، المتلقي)، وهذا بتوفر ظروف معينة وسياق ما من ناحية صيغة اللّفظ، فهو أحد مصدري فعل خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم.

فالفعل" خاطب " يتعلّق بزمن ماضي، أمّا الخطاب فهو اسم يدلّ على الكلام الذي يرسله شخص إلى المتلقي وهذا يعني استخدام اللّغة شفاهيا، فالخطاب هنا يشمل المنطوق " ومن جانب آخر لا تغدوا الحقيقة، إذا قلنا أنّ لفظ الخطاب قد ورد أكثر ما ورد عند الأصوليين، انطلاقا من أن الخطاب هو الأرضية التي استقامت أعمالهم عليها، بل كان هو محور بحثهم، فقد تردّد كثير من اشتقاقات مادّة (خطب) في مواضع متعدّدة عندهم، ومن أبين الأدلّة على ذلك إيرادهم لاسم الفاعل (مُخاطِبْ) ولاسم المفعول (مُخَاطَبْ)، بوصفهما طرفي الخطاب"[1]، فهذا اللّفظ استخدم كثيرا مثله مثل مصطلح " النص" كما أنّه أكثر ورودا في كتب الفقه والأصول، ونجده يتوفّر على الطرفين (المخاطب، المتلقي) وبهما يتم التواصل وتبليغ المقاصد ولكّل طرف أسلوب خاص ومميّز في توصيل رسالته ومحاولته إقناع الآخر بكلامه.

وبهذا يمكن القول بأنّ كلا المصطلحين " النّص والخطاب " قد حظيا بكثير من الدّراسة والأهمية، واعتبارهما المادّة الأساسيّة للدّراسات النّقدية القديمة منها والحديثة كما اعتبر النواة المركزية في الدّراسات اللّغوية.

**2- النّص /الخطاب من المنظور النّقدي:**

إنّ التّمييز بين النّص والخطاب في ضوء المناهج النّقدية الحديثة يطرح إشكالا كبيرا نظرا لتعدّد الآراء واختلافها وكثرة التصوّرات وتضاربها، ممّا يجعل البحث أمام

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 36.

صعوبة تأطيرها وفرزها، وبالتّالي تحليلها ومناقشتها، إذ نجد بعض النّقاد يحدّدون معنًى خاصًّا للنّص ومعنى خاصًّا للخطاب المقابل ونجد البعض الآخر يجعل كلا المصطلحين بمعنى واحد ويطابق بينهما وذلك باتّخاذهما لفظين لمعنى واحد.

وفي هذه الدّراسة سيتم الحديث أوّلا عن النّص، ثمّ يأتي بعد ذلك الخطاب :" إنّ البحث عن تعريف لمفهوم النّص وقضاياه في الدّراسات النّقدية الحديثة أمر صعب نظرا لتعدّد معايير هذا التّعريف، ومضامينه وخلفياته المعرفية في علم اللسانيات والأسلوبيّة وتعدد الأشكال والمواقع والغايات التي اشترطها المنظّرون، في ما نطلق عليه مصطلحيا النّص"[1].

وقد اشار فولفغانغ إيزر إلى صعوبة تعريف النّص بقوله: " النّص الأدبي ليس كينونة قابلة للتّعريف، غير أنه إذا كان شيئا فهو حدث دينامي"[2] فهو يعطي صفة الدينامية للنّص، وقد يكون ذلك سببا في صعوبة تحديد مفهوم النّص وعدم القدرة على الإلمام بجميع جوانبه، فهو في حركية مستمرة ورغم أنّه المادّة الأساسية للتحليل والدّراسة، وهو أكثر المواضيع تناولا في الدّراسات اللغويّة واللسانيّة الحديثة.

"وقد ارتبط ظهور مصطلح "نص Texte" بظهور عدد من المؤسّسات في المجتمع البشري عبر تطوّرها التاريخي، وكان أوّلها ظهور الكتابة من حيث هي وسيلة لتجاوز ضعف الذاكرة وفعل الزّمن، فاتّخذ بذلك الملفوظ حيّزا في الفضاء واستقلّ بوجوده، وهو ما هيّأ له الاستقرار"[3].

---

[1]– عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب و قضايا النص، ص 19.

[2]– فولفغانغ إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجارب، تر: حميد لحميداني والجلالي الكدية، منشورات مكتبة المنهل، 1987، ص 11.

[3]– عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب و قضايا النص، ص 20.

فالنّص في البداية كان وسيلة للتّرسيخ والحفاظ تخوّفا من النسيان والتغلب على ضعف الذّاكرة، فكلما طالت المدّة الزمنية كلما تعرض الملفوظ للنّسيان، فكانت أفضل وسيلة للتذكّر هي الكتابة وتجسيدها على شكل نصوص مدوّنة وتعتبر هذه الوسيلة من أبلغ الوسائل وأنجحها.

"والنّصوص هي" منطوقات كتابية وشفهية أيضا يمكن أن تكون ذات أطوال متباينة بدءا من النّص المكون من كلمة واحدة حتّى النّص الكلّي لرواية متعددة الأجزاء"[1].

" والملاحظ هنا إضافة إلى أنّ النّص يشمل المنطوق والمكتوب فإنّه لا يتحدد بالطول أو الحجم، فنطلق أحيانا على كلمة نصا وعلى قصة ما نصا، رغم اختلاف طولهما، إلاّ أنّ لفظ النّص لا يولي الحجم والطول أهمية، فالنّص إذن يمكن أن يكون كلمة واحدة ويمكن أن يكون جملة واحدة ويمكن أن يكون امتدادا من جمل كثيرة ونؤكّد أنه يجب في النّوع الثالث وجود روابط شكلية ودلالية بين التتابعات"[2].

إذن النّص المتكون من عدة جمل يشترط فيه وجود روابط لغوية مثل حروف العطف.... الخ، وأيضا روابط دلالية فالجملة الأولى مثلا يحيل معناها على الجملة الثانية، وذلك بواسطة دلالات مختلفة أو ضمائر في جمل النّص، فتتماسك الجمل وتأتي متسلسلة ومتوالية فتشكل بترابطها وحدة كاملة هي النّص، أما الكلمة المفردة أو الجملة الواحدة فلابدّ من توفّر سياق ما لتحقيقهما النّصّية، فلو عزلنا الكلمة عن سياقها الّذي

[1]– زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر : سعيد حسين بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003، ص15.

[2]– صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للنشر و التوزيع، القاهرة ،ط1، 2000، ص31.

وردت فيه يخرج معناها إلى معنى آخر غير الّذي قصده المنتج، فالسياق له دور كبير في تحديد المعنى ، وبه تكون الكلمة والجملة نصّا.

"أمّا حين نعود إلى الأصل اللاّتيني لكلمة " نص" في اللّغات الأوروبية، فإنّنا نجد كلتي : "Texte –text" مشتقّتين من "Textus" بمعنى النّسيج "Tissu" المشتّقة بدورها من "Texere" بمعنى نسيج"[1].

فالنّص يشبه في شكله النّسيج المتضام، فهذا الأخير تتضام خيوطه بشكل منتظم وتشكّل في النّهاية نسيجا متناسقا، وكذلك بالنّسبة للنّص بحيث تتظافر أجزاؤه وعناصره المكونة له وفق عمليات تركيبية ودلالية، ويتم إنشاء وحدة كبرى متكاملة و متّحدة هي النّص في النّهاية.

"إنّ النّص وحدة دلالية، وليست الجمل إلاّ الوسيلة التي يتحقق بها النّص، أضف إلى أنّ كل نص يتوفر على خاصية كونه نصّا يمكن أن يطلق عليها نصّية، وهذا ما يمّيزه عما ليس نصّا ولكي تكون لنص ما نصّية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النّصّية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة"[2].

نفهم من هذا التعريف أنّ النّص نشأ من اتحاد مجموعة من الجمل والعبارات المكونة له في مادته الأساسية و بها يحقّق نصّيته لكنّ بشرط ارتباطها اللّغوي والدّلالي، فنصّية النّص تحقق بمدى ترابط مكوناته وأجزائه وعناصر بناءه، كما أن الجمل هي وحدات صغرى تتّحد فيما بينها وتترابط لتشكل وحدة كبرى متكاملة هي النّص بحيث يكون حاملا للدّلالة العامّة ويحقق المعنى المقصود.

---

[1]– عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص، ص 17.

[2]– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص 13.

"أمّا س. ي. شميت فإنه يقدّم تعريفا للنّص: النّص هو كل جزء لغوي منطوق من فعل التواصل في حدث التواصل، يحدّد من جهة الموضوع، ويعنى بوظيفة تواصلية يمكن تعرفها، أي تحقيق كفاءة انجازية يمكن تعرفها"[1]، فالنص عند " شميت " هو استعمال لغوي يتم تحقيق التواصل فيه، وإنجاز فعل ما وهذا يتم بين الطرفين (المرسل والمتلقي)، إذن النص عبارة عن حدث تواصلي.

" والنص أيضا لابد أن يكون مكتملا في دلالاته مكتفيا بذاته بالإضافة إلى كونه قولا لغويا مستديرا مكتملا يحقّق مقصدية قارئه في عملية التواصل اللغوي"[2]، فالنص كلّ متكامل، شكلا ومضمونا يؤدي وظيفة التواصل بين الطرفين (المرسل والمتلقي).

فالنصوص تتفاضل فيما بينها حسب ما يبدعه المنتج وكيفيّة اختياره لألفاظ، النص واستعماله للّغة، والرّبط السليم للجمل والعبارات، فقد تكون مجموعة من الجمل سليمة نحويا ولغويا واختلّ فيها عنصر الترابط فهي لا تشكل نصّا، وليست بوحدة متكاملة منتظمة داخليا.

"أمّا هارتمان Hartman فيجد النّص بأنه علامة لغويّة أصليّة، تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي ومن الواضح التأكيد على خاصية الاتصال والعمومية اللغويّة والدّلالية"[3].

أمّا فاينرش Weinrich فقد حدّه بأنّه تكوين حتمي يحدّد بعضه بعضا، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل فالربط هو السّمة الأساسية في هذا التّعريف"[4].

---

[1]– زتسيسلاف واورزنياك، علم النص مدخل إلى مشكلات بناء النص، ص 58.

[2]– صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2002، ص 115.

[3]– أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001، ص 27.

[4]– المرجع نفسه، ص 27.

فهنا يرى "هارتمان وفاينرش" أنّ النّص يبنى من مجموعة الجمل المترابطة، فهي وحدات صغرى تتماسك وتلتحم فيما بينها مشكلة وحدة كبرى تحمل دلالة معيّنة وتؤدّي وظيفة اتّصالية وعلى الرغم من أنّ هناك من يقول بأنّ علاقات التّماسك في النّصوص إنّما يستغلها الكتاب لتيسير القراءة أو الفهم على المتلقي، إلاّ أنّها تبقى العنصر الأساسي لنّصية النّص.

ولا يمكن النّظر إلى النّص بزعم أنّه مجرد صورة مكوّنة من الوحدات الصّرفية Morphemes أو الرموز، إنّ النّص تجلى لعمل Action إنساني ينوي به Intends شخص أن ينتج نصّا ويوّجه Instructs السامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة، وهكذا يبدو هذا التوجيه مسببا لأعمال إجرائية"[1].

إذ لا يمكننا اعتباره بأنّه يعني فقط تلك العبارات المكونة له والألفاظ المركبة والوحدات الصرفية أو الرموز الإشارية، بل هو قطعة من الكلام الّذي يحمل موضوعا ما، ينشئه المبدع ويرسله إلى المتلقين باختلاف تفكيرهم ليقوموا بتحليله وفق مناهج متعدّدة، فهو وحدة دلاليّة وليس شكلا فقط فالنص يحمل رسالة معينة، والقارئ يحاول فك رموزها، والإحاطة بمعناها ذلك أن: "المعنى هو الفكرة التي يريد الأديب أو الشاعر تصويرها وأدائها والترجمة عنها ليفهمها القارئ والسامع "[2]، فكل نص له دلالة معينة يريد المنتج إبلاغها للمتلقي.

فقد تم ذكر مجموعة من التعاريف، وآراء الباحثين المتنوعة حول مفهوم النص، وهي آراء متعدّدة ومختلفة، وهذا راجع إلى تعدد وجهات النّظر وتعدد المعايير المعتمدة في التعريف، وعلى الرغم من كثرة استخدام النصوص في التحليل والدراسة إلا أنه لم يتم

[1]– روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء ، تر: تمام حسان، علم الكتب، القاهرة ،ط1، 1998، ص 92.

[2]– محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز بشرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص 139.

وضع تعريف اصطلاحي شامل، إذ تبقى محاولات الباحثين مستمرة في ذلك بالنسبة لهيلمسيلف: " النّص من جهة التّعريف غير محدّد" [1].

وذلك راجع إلى وجود مصطلح آخر، كما ذكرنا سابقا، يتضافر معه في الاستعمال وهو "الخطاب"، فالبعض يتناول هذين المصطلحين على أنّهما مرادفين وأنّهما وجهين لعملة واحدة.

ظلّ قدماء النّحويين في جدال مستمر حول تحديد مفهوم مصطلح "الخطاب" إذ كان موضوع أبحاثهم، إلاّ أنّه لحد الآن لم يحظى بتعريف شامل قار، وهذا رغم استعماله في الانتاجات اللّغوية.

"إلاّ أن الاتّجاه الغالب الآن هو اختيار مصطلح "الخطاب" وتفضيله على نظيره، ولعل السبب في هذا التفضيل هو أن مصطلح " الخطاب "يوحي أكثر من مصطلح" "النص" بأنّ المقصود ليس مجرد سلسلة لفظية تحكمها قوانين الاتساق الدّاخلي الصوتية والتركيبة والدلالية بل كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الدّاخلية وظروفه المقامية (بالمعنى الواسع)" [2].

نستشفّ من هذا الكلام أنّ مصطلح " الخطاب " أكثر إيحاءا من نظيره النّص ،إذ يمكن أن تندرج بعض النّصوص تحت مصطلح "الخطاب"، لأنّه قد يكون أكثر ما يتعلق بالمقام الّذي ورد فيه والذي أنشئ فيه، فالسياق يلعب دورا مهما في تحديد المعنى العميق وتجاوز المعنى السطحي.

"وتعود جذور مصطلح الخطاب إلى عنصري اللغة والكلام، فاللغة عموما نظام من الرموز يستعملها الفرد للتعبير عن أغراضه والكلام إنجاز لغوي فردي يتوجه به

[1]– زتيسيسلاف واورزنياك، علم النص، مدخل إلى مشكلات بناء النص، ص 53.

[2]– أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربي في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط،2001 ، ص 16.

المتكلم إلى شخص آخر يدعى المخاطب، ومن هنا تولد مصطلح الخطاب، بعده رسالة لغويّة يبثها المتكلم إلى المتلقّي يستقبلها ويفك رموزها"[1].

فالخطاب إذن عبارة عن رسالة لغويّة ينشأها المتكلم أو المبدع ويوجهها إلى المتلقي، فيحال هذا الأخير إلى فهمهما وفك رموزها اللّغويّة المختلفة، ويحاول أيضا الوصول إلى مقاصد المتكلم، كما يقوم بتحليله فيشارك بذلك المتكلم في إنتاج خطابه والتفاعل معه، وهذا التحليل يكون بإتباع مناهج متعدّدة ونظريات مختلفة في علم اللّسانيات، وبما أنّ هذا العلم حديث النّشأة لذلك نقول أنّ تحديد الخطاب، يبقي من الأمور المستعصيّة لحداثته أيضا.

"واختلفت الدّلالات التي كانت تقرن –عادة– بمادة « Discours » في بداية القرن العشرين لأنّ اللّسانيات الحديثة اقترحت مفهوما مرنا للخطاب، حيث اعتبرته ملفوظا يرتهن من خلاله (الباث، المتكلم) اللغة بالكلام بمفهوم دي سوسير للمصطلح، وبذلك أصبح الخطاب في العلوم الإنسانية (سوسيولوجيا، علم النفس التحليلي، اللسانيات ... إلخ) موضوعا علميا و نقديّا "[2].

فاعتبار الخطاب هنا على أنّه موضوع علمي ونقدي إلاّ أنّه لا يخضع لقواعد ثابتة قارّة، كما أنّ تحليله لا ينتهي إلى استنتاج دلالات مطلقة ولا نصل من خلاله إلى معنى واحد، كما نجد النّتائج المحصّل عليها متغيرة باستمرار فهي ليست نتائج رياضية، وهذا راجع لاختلاف المتلقين والقرّاء وكذا القراءات المتنوعة، فالمتلقي للخطاب للمرة الأولى تختلف استنتاجاته عن تلقيه وقراءته للمرة الثّانية، ودوال الخطاب تحمل عدة مدلولات و ليست بيقينية بل في حركية مستمرة ، وتتميز بالديناميكية دوما.

[1]– عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص ، ص 11.

[2]– المرجع نفسه، ص 13.

وأيضا " الخطاب هو الواقعة اللّغويّة"[1]، إذ أنّه استعمال للّغة، وهذا يستغرق زمنا معينا حيث يتم فيه إنشاء سلسلة خطية متتابعة وهي مادّته الأساسية لبنائه، كما أنّها مجموعة من الوقائع والأحداث المتوالية لوصف ظواهر معينة تتجاوز حدود الجملة.

"وهناك من يعرّف الخطاب بالنّظر إلى ما يميزه بالممارسة داخل إطار السياق الاجتماعي، بغض النّظر عن رتبته حسب تصنيف النّحويين، أي بوصفه جملة أو أكثر أو أقل فلا فرق بين هذه المستويات النّحوية في الخطاب"[2]، في الدّراسات الحالية، فأصبح الاهتمام بالسياق التداولي الذي أنتج فيه وكيفية توجيهه من المرسل إلى المرسل إليه، فلا ينظر إلى الجمل مستقلة عن بعضها بل يتحدد معناها من السياق الذي وردت فيه والواقع المحيط به.

"فالخطاب عند الآمدي هو اللّفظ الذي اتفقوا على وضعه وهو يهدف إلى إفهام المتلقي، وهذا الأخير لابد أنّ تكون له قدرات على الفهم وهو في تعريفه هذا يخرج العلامات غير اللّغوية، كما أنّه يجعل تعريف الخطاب ومعرفة ماهيته منطلقا لمعرفة الأحكام الشرعية، وقريب منه ما قاله الجويني: "الكلام والخطاب، والمتكلم، والتخاطب، والنطق، واحد في حقيقة اللغة، وهو ما يصير به الحي متكلما "[3].

كل هذه المفاهيم تدل على مصطلح " الخطاب " وكلها استعمال للّغة، إلاّ أنّه لم يحدد بالضبط تعريفا خاصّا وثابتا ، فجعل الكلام التّكلم والنّطق والخطاب كلها في مقام واحد ، فهذا تعريف عام ويقصد به أي كلام يتكلمه شخص ما .

---

[1]– بول ريكور، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعني، تر: سعيد الغامدي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006، ص 12.

[2]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 37.

[3]– المرجع نفسه، ص 36.

"ولم يكن مفهوم الخطاب في نظر البلاغة الكلاسيكية مجرد وسيلة يعبر بها عن الفكرة ، ولكن كان ينظر إليه باعتباره كيانا مستقلا يحمل خصائصه الذاتية ويتجلى ذلك في المرسل (الباث، الكاتب) في كل الحالات التأثير في المتلقي (القارئ/الشاهد) "[1].

فللخطاب خصائصه المميّزة التي تميّزه عن باقي المنتجات اللّغوية، فهو كيان مستقل بذاته إذ أنّه مجموعة من المعطيات المتنوعة والأفكار المجسّدة تتضافر فيما بينها لتكون وحدة متكاملة هي الخطاب.

"والخطاب لا يتحدد بالحجم، فهو غير مقيد بطول معين إذ أنّه يمكن أن يكون جملة بسيطة أو جملة مركبة كبرى إذا كانت هذه الجملة تشكل وحدة تواصلية كاملة"[2].

قد يتشكل الخطاب من جملة سواء كانت بسيطة أم معقدة، أو عدد معين من الجمل، فهي تشكل وحدة تواصلية تحقق التواصل بين المرسل والمرسل إليه، وبذلك تمر الرسالة وتصل إلى الآخر، فيقوم هذا الأخير بتحليله وفهم محتواه وما يهدف إليه، والمغزى الّذي يقصده.

يكتب ديك ( 1997، ج2 ، 409) وهو بصدد تعريف "الخطاب" :" لا يتواصل مستعملوا اللّغة الطبيعية عن طريق جمل منعزلة بل أنّهم يكونون من هذه الجمل قطعا أكبر وأعقد يمكن أن نطلق عليها اللّفظ العام "الخطاب" [3].

ذلك أن جمل الخطاب لو عزلت عن السياق الذي وجدت فيه، لحملت دلالات بعيدة عما يريده المنتج، أو المبدع، وبذلك لا يفهم المتلقي تلك المجموعة من الشفارات

[1]– عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص 13.

[2]– أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 81.

[3]– المرجع نفسه، ص 17.

والرموز والإشارات اللّغوية إلاّ في سياقها الذي فيه، فجعلها الخطاب ترتبط فيما بينها لغويا ودلاليا وهي في علاقة وطيدة بالسياق التدوالي وهذا لأداء وظيفة التواصل.

وما يمكننا استنتاجه هو أنّه قد وقع خلط كبير بين المصطلحين "النّص" و"الخطاب" فمن الصعب التفريق بينهما وفصلهما فصلا دقيقا، وما نخلص إليه هو أنّ معظم الباحثين والدّارسين لا يفرق بين المصطلحين، بل نجد من جعل التطابق بينهما عنوانا لأحد كتبه وهذا عند الأستاذ: محمد خطابي مثلا في كتابه المعنون بـ" لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب " فهو جعلهما مترادفين، وكذلك يفعل في المتن فنجد مثلا قوله: "...من تعميق لمسألة انسجام النّص /الخطاب، مع إغناء ..."[1]، فحقيقة نجد الرّأي الأغلب هو عدم التفريق بين المصطلحين وتداخلهما الشديد لذلك نجد أنّه يستحسن استعمال المصطلحين بمعنى واحد.

[1]–محمد خطابي، لسانيات النص، ص 385.

**ثانيا: مفهوم النص والخطاب في حقل الدراسات النقدية**

**1- مفهوم الخطاب عند العرب وعند الغرب:**

**أ-عند العرب:**

يتحدد مفهوم الخطاب في الثّقافة العربيّة، بوصفه مصطلحا واضح الدّلالة انطلاقا من القرآن الكريم، واعتمادا على التّفاسير التي قامت على بعض آياته ، حيث يقول تعالى: ((فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب ))[1] الآية(23)، ويمكن القول أن مفهوم الخطاب قد مر بأدوار ومراحل من التّطور حتى وصل إلى مرتبة المصطلح ، بتشكيل نواة دلالية خاصة به في الثقافة العربية.

ويفسر الزمشخري "فصل الخطاب" بقوله إنه : "البين من الكلام، الملخص الّذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه"[2]، "وهو الكلام الدال على المقصود بلا التباس"[3]، وهذا التفسير يتضمن عناصر الخطاب من مُخَاطِبْ ومُخَاطَبْ وخِطَابْ، إلاّ أنّه يقف عند حد التفسير المباشر للفظتي: الفصل والخطاب، فالحدّ الفاصل الدّال على المقصود، بلا التباس، والخطاب الكلام.

وأمّا المعاجم فإنّها تشير إلى معان قريبة مما ورد في التفاسير، فعند ابن منظور: "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما

[1]- القرآن الكريم، رواية حفص، الآية 23.

[2]- الزمخشري، الكشاف، دار الفكر، بيروت، ط1، 1977، ص 81-90.

[3]- عبد الله شبر، تفسير القرآن الكريم، مراجعة حامد حفني داود، مطبوعات النجاح، القاهرة، ط2، 1966، ص 428.

يتخاطبان"[1]. وعند الجوهري: "وخطبت على المنبر خُطبة بالضم، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا"[2].

ويتضح من هذه التعريفات صلتها بالتفسير، بل أنّ بعضها أشار إلى تفسير فصل الخطاب كما ورد عند بعض المفسرين، في لسان العرب: " وفصل الخطاب: قال هو أن يحكم بالبينة أو اليمين"[3]، ويتّضح من هذا التعريف ارتباط التفاسير بالمعنى المعجمي أيضا .

وبعد أن درج المفهوم واستخدمه بعض الأصوليين استخداما مرادفا للكلام، فهذا ابن جني" 392" يعّرف الكلام بأنه: "لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الجمل المستقلّة بأنفسها الفنية عن غيرها والكلام واقع على الجمل دون الآحاد، والكلام أيضا عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل هذه الصّنع على اختلاف تراكيبها"[4].

ويتّضح مما سبق أنّ مفهوم الخطاب اقترن بحقل علم الأصول والمعاجم العربية لم تخرج عن المفهوم الدّيني أمّا المفهوم المتأخر للخطاب الّذي نبع من الكلاميين فقد استفاد من تراث المفهوم وشّكل حقلا دلاليا خاصا به يحايث المعنى الأصلي ويزيد عليه بما يتواصف ومعطيات الحقل الجديد الّذي سيخدم الخطاب.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ص 1194.

[2]– الجوهري، الصحاح، تح: إميل بديع يعقوب، د: محمد نبيل الريفي، ج1، دار الكتب العالمية، لبنان، ط1، مادة خطب، ص 420.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، ص 1195.

[4]– ابن جني، الخصائص، مج1، تح: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، ط2، 1952، ص 17.

وأمّا الإمام فخر الدّين الرّازي فإنّه يطرح في تفسيره الكبير فكرة مهمة حول المنازل التي يقطعها النطق أو الكلام حتى يصل إلى مرتبة الخطاب، فيقول في فصل الخطاب: "وأعلم أنّ أجسام هذا العالم ثلاثة أقسام... وثالثها الذي يحصل له إدراك وشعور ويحصل عنده قدرة على تعريف غيره الأصول المعلومة له، وذلك هو الإنسان وقدرته على تعريفه الغير الأصول المعلومة عنده بالنطق والخطاب، ثم إنّ الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضّمير، فمنهم من يتعذر عليه إيراد الكلام المرتب المنتظم، بل يكون مختلط الكلام مضطرب القول ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه، ومنهم من يكون قادرا على ضبط المعنى والتعبير عنه إلى أقصى الغايات، وكلما كانت هذه القدرة أقل كانت تلك الآثار أضعف"[1]، ثم يؤكّد هذه الفكرة بقوله: " لأنّ فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال، ويحضر في الخيال بحيث لا يختلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام"[2].

إذا كان هذا الكلام للإمام فخر الدّين الرّازي قد جاء في معرض تفسير فصل الخطاب، إلاّ أنه مشوب بالمنطق من جهة في التقسيم والترتيب كما أنّه يحمل تصورا متقدما ودقيقا للخطاب وتميزه عن سائر الكلام من جهة أخرى.

وإذا كان الخطاب المقصود هو خطاب الله عزّ وجل، إلاّ أنّ الإمام يطلق هذه القدرة على البشر في الوصول إلى مرتبة تشكيل خطاب خاص بمستطاع ذلك منهم، ثمّ إنّ الخطاب الإلهي –على سموه وارتفاعه –غير مغلق على البشر" فالحاصل أنّ الخطاب يجب حمله على المعنى الشرعي، ثمّ العرفي، ثم المعنى اللّغوي الحقيقي، ثم المجاز"[3]، وهو بذلك يفتح المجال للتأويل والمجاز في سبيل فهم هذا الخطاب.

---

[1]– فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج25، ط3، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1، ص186.

[2]– المرجع نفسه، ص 187–188.

[3]– فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ص 156.

إنّ الخطاب في هذا السياق ينطوي على منظومة معرفية واضحة ومحددة تطلق على كلام الله عز وجل، وعلى بعض كلام البشر في أعلى مراتبه، وهذه الدلالة يؤكّدها ابن رشد بقوله: " وإذا كان سبيل تلقي الأحكام الخطاب الوارد، وذلك في جميع أصنافه التي عددت من لفظ أو قرينة، وما كان سبيل المعرفة به الخطاب ، فثم لاشك حكم متعين، وهو الذي تعلق به الخطاب"[1].

إذن فالخطاب عند ابن رشد كما عند فخر الدّين الرّازي مقولة مقولة لابد أن تنطوي على حكم متعين واضح القصد والدلالة.

لقد تطور مفهوم الخطاب عند العرب القدامى ليستوي موضوعا مستقلا، بل إن العرب " حاولوا أن يطوروا نظرية في النص خدمة لأداء المعنى ودراسته، وهذا يعني أنهم قد تجاوزوا المفهوم اللّفظي للكلام، ومفهوم الجمل، ليستقر عندهم أنّ المتكلم في تعبيره عن حاجاته، لا يتكلم بألفاظ ولا بجمل ولكن من خلال نص، فاتسعت بهذا أمامهم دائرة البحث الدلالي، وانتقلوا في البحث من مفرد أو جملة إلى البحث في خطاب يتم فيه تحميل المفردات والجمل بدلالات يقتضيها موضوع الخطاب"[2].

إلاّ أنّ مفهوم الخطاب في النقد العربي الحديث ليس امتدادا وتطويرا فاستبدل النّقاد العرب المحدثون بها المفهوم الغربي، وهنا تكمن الإشكالية الأساسية في اجتذابه القسري خارج حقله، وشحنه بدلالات غريبة عنه وذلك بتأثير مباشرة من المحمول الدلالي لمصطلح الخطاب "Discours".

[1]– جيرار جهامي، موسوعة مصطلحات ابن رشد الفيلسوف، مكتبة لبنان ، بيروت ،ط1، 2000، ص 139.

[2]– منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1996، ص 7.

**ب-عند الغرب:**

إن كان أصل مفهوم الخطاب في التراث العربي، مصدر نشوئه دينيا أصوليا فإنه في التراث الغربي فلسفي ، كان وما يزال حتى اليوم مع تطور الحقول المعرفية وتشبعها يرتد ويتصل بذلك الأصل الفلسفي، على الرغم من تحول المفهوم وتغير معناه، وتبدل وظيفته وأهميته حيث يلاحظ أنّ المفهوم العربي اليوم للخطاب يكاد ينقطع عن موروثه، فيما المفهوم الغربي للخطاب يتصل بمورثه بروابط وشيجة، وعلة ذلك أنّ النّقد العربي الحديث يتكئ على النّقد الغربي، وينقل مفاهيم تتصل بذلك الموروث لا بالموروث العربي.

وقد ظهر مفهوم الخطاب أول ما ظهر عند أفلاطون " فمع أفلاطون حيث يتماثل المقال ، وفي " عصر النهضة يأتي كتاب رنيه ديكارت R.DESCART " خطاب في المنهج " ليشكل علامة هذا العصر البارزة، فقد أراد ديكارت أن يتجاوز رجال الكنيسة ويسمع صوته لعامة المثقفين"[1]، وأهمية كتاب ديكارت تكمن في كونه تأسيسا للخطاب أكثر مما هو تفسير وتحديد للمفهوم ذاته.

"أمّا ظهور مفهوم الخطاب، اتخاذه أبعادا ابستومولوجية مستقلة فقد ارتبط بظهور مؤلفات ميشال فوكو M.Foucoult، ذلك أنّ رؤيته العميقة المحددة للخطاب، وعلاقته بالمجتمع تعد من أهم الموجهات للثقافة الغربية الحديثة، إذ أنّه " يقف عند الحدود التي صنعت منذ مطلع القرن السابع عشر عقلانية الحضارة الحديثة"[2].

[1]- عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1999، ص 598.

[2]- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1987، ص 432.

كما ارتبط الخطاب عند فوكو بالفلسفة والمنطق فهو" عملية عقلية منظمة تنظيما منطقيا، أو عملية مركبة من سلسلة من العمليات العقلية الجزئية، أو تعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ والقضايا التي ترتبط بعضها ببعض"[1].

ويعرّف فوكو الخطاب بأنّه "... هو أحيانا يعني الميدان العام لمجموعة المنطوقات، وأحيانا أخرى مجموعة متميزة من المنطوقات، وأحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها، تدل دلالة الوصف على عدد معين من المنطوقات وتشير إليها".[2]

ويركز فوكو في تعريفاته على المنطوق وهو أبسط أجزاء الخطاب يقول: فقد استخدمت في مناسبات عديدة لفظ منطوق، إمّا لأشير به لعدد من المنطوقات... أو لأميزه عن تلك المجموعات التي أسميها الخطابات (مثل ما يتجزأ الجزء من الكل) ويبدو المنطوق لأول وهلة كعنصر أخير، أو جزء لا يتجزأ، قابل لأنّ يستقل بذاته، ويقيم علاقات مع عناصر أخرى مشابهة له ... المنطوق أبسط جزء في الخطاب"[3].

وأمّا هدف ميشال فوكو وراء تحليل الخطاب فيقول عنه عبد الله إبراهيم أنّه ".... يعنى بالعبارة بوصفها شيئا قائما بذاته، لا تحيل على شيء آخر، إنما كونها تتصف بذاتها لا بغيرها، والتحليل هنا ينص على ضروب الترابط بين العبارة، وما يتصل بها من عبارات أخرى، وصولا إلى تحديد نظام الخطاب كله"[4].

---

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1978، ص 204.

[2]– ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ت:سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص 78.

[3]– محمد علي الكردي، الخطاب والسلطة عند ميشال فوكو، فصول، مج11، ع1، 1998، ص 40.

[4]– عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999، ص 104.

كما يتحدث فوكو عن العلاقة بين الخطاب والذات، موضحا أنّ الذات تنشئ الخطاب، ولكن الخطاب يكشف الذات ويبعثرها، يقول: " وبدلا من أن يعمل التحليل الّذي تقترحه هنا، على إحالة مختلف صيغ التعبير على التركيب، أو الوظيفة الموحدة للذات فإنه يجعل تلك الصّيغ نفسها تكشف عن تبعثر الذات كما يحيل الذات إلى مختلف الأوضاع والمواقف التي تشغلها عندما تتلفظ بخطابها"[1].

إنّ العناصر التي يطرحها فوكو على أنّها أطراف في تشكيل الخطاب وتلقيه، لا يعد أحدها منتجا والآخر مستهلكا، وإنّما هي أطراف تشترك معا في إنتاج الخطاب وتلقيه في عملية تبادلية، إذ لا تعود مرجعية الخطاب إلى الذات أو إلى المؤسسة أو إلى الهدف المنطقي أو إلى قواعد البناء النّحوي، وإنّما إلى الممارسة، الممارسة الخطابية وغير الخطابية، على أن لا تفهم العلاقة بين الممارسات على أساس السبب والنتيجة، وإنّما على أساس العلاقة التبادلية.

لقد كان الخطاب في التاريخ هو مدخل ميشال فوكو لمعالجة جملة من الموضوعات السياسية والمعرفية واللّغوية "إن إدخال البعد التاريخي في تحليل الخطاب هو ما يميز طريقة فوكو مقارنة بالتأويل أو التحليل، وهو ما يجعل من الأنطولوجيا التاريخية، فلسفة تتكون من الموضوعات الفلسفية التي تشكل أي فلسفة من الفلسفات، ونعني بذلك أنّها فلسفة لغوية، مادامت قد اعتمدت على اللّغة والخطاب لمناقشة مختلف موضوعاتها وفلسفة العلوم، مادامت قد ناقشت مشكلة المعرفة ومختلف الممارسات الخطابية ذات العلاقة بالمعرفة والعلم، وفلسفة سياسية، وقد طرحت مفهوم السلطة

[1]– ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ص 53.

كمفهوم بديل للتمثيل السياسي القائم على القانون أو الهياكل، وهي أخيرا فلسفة أخلاقية جمالية، مادامت تحدد مختلف تجارب الذّات سواء من الناحية الأخلاقية أو الجمالية"[1].

إنّ جهد ميشال فوكو في تعريف الخطاب وتحديد آليات تحليليه وتمثيله للسلطة والمجتمع غير مسبوق بما يوازيه قيمة وأهمية، بل إنّه شكل أساسا ضروريا للفلسفة وغير الفلسفة في كافة مجالات المعرفة الإنسانية، وإذا كان مجموع أعماله لا يتوجه إلى الأدب بشكل خاص، إلاّ أنّه اهتم باللّغة كونها عنصرا من عناصر تمثيل الخطاب.

**2- مفهوم النص بين التراث العربي و التراث الغربي:**

لم يعرف العرب في تاريخهم ممارسة نصية تامة إلاّ مع القرآن الكريم، وهي أولى مظاهر هذه الممارسة " وتتمثل في الوقوف على النّص في ذاتيته النصية بتعبير بارت، فذاتية النص تجليها قراءة للمكتوب تجعل النص كلاما يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغوي مختلف"[2].

وقد أدرك الباقلاني هذا الأمر في القرآن الكريم فقال :" إذا تأملته تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم، إنّه خارج عن العادة وأنه معجز؛ وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، و تمييز حاصل في جميعه"[3].

"فالنّص كلام إلاّ أنّه يصدر عن ذاتيته النصية التي عملت على انجازه وأدائه والكلام الآخر غير نصي، ولكنه كلام أيضا إلاّ أنّه خطاب شفوي عمل الشخص على

---

[1]- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2000،ص364.

[2]- منذر عياشي، النص: ممارساته وتجلياته، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 96-97، 1992، ص 53.

[3]- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد، إعجاز القرآن، تر: السيد أحمد صخر، دار المعارف، القاهرة، ص 35.

انجازه وأدائه"[1]، ومنه نستنتج " أنّ وحدة اللّغة لا تحول دون تعددية الإنجاز والأداء ولذا صار ينظر إلى النّص في ذاتيته النّصية، وصارت ممارسته لغة المكتوب جزءا من ممارسة النص نفسه"[2].

وورد في لسان العرب لابن منظور في مادة "نصص"، " النّص: رفعك الشيء، نص الحديث ينصُّه نصا: رفعه، وكل ما أظهر فقد نُصّ، يقال: نصت الضبية جيدها: رفعته، وأصل النّص أقصى الشيء وغايته، ثم سمي به ضرب من السير السريع"[3].

"فنحن لا نكاد نعثر على دلالة من الدلالات التي يعرف بها النّص في الدراسات النّقدية الحديثة في الشاهد الطويل الذي أتينا على ذكره، وهو اتجاه في التراث يقف على النّقيض من تعريف البنيوية التي تنظر إلى النّص على أنّه بنية مغلقة ومنتهية"[4]. فالبنيوية لا تهتم بالمفهوم الأدبي قدر اهتمامها بالوظيفة الأدبية، لأنّ المفهوم متطور عبر العصور، متحول من مجتمع إلى آخر، والنّص الأدبي هو في واقع التكوّن مجموعة نصوص.

وعلى الرغم من كثرة استخدام كلمة " نص" في كتابات السلف الأصولية والفقهية، إلاّ أننا لا نعثر على تعريف لهذا المصطلح، ويعتبر منذر عياشي "غيبة التعريف" مدعاة للحيرة"[5]. أمّا التفسيرات المعجمية اللفظية التي قدمنا نموذجا منها عند ابن منظور، فإنها تؤكد ما قلناه، وهو أن معنى النّص بقي محصورا في الدلالة على الكتاب والسنة

---

[1]– منذر عياشي، النص: ممارساته وتجلياته، ص63.

[2]– المرجع نفسه، ص 54–63.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، يوسف خياط، ج2، ص 4441.

[4]– منذر عياشي، النص: ممارساته وتجلياته، ص55.

[5]– المرجع نفسه، ص55.

بالإضافة إلى دلالات أخرى، كـ "نص الشيء: رفعه وأظهره، وإذا كان حديثا أسنده إلى قائله، ونص الناقة استحثها بشدة، والشيء حركه ..."[1].

أما حين نعود إلى الأصل اللاتيني لكلمة " نص " في اللغات الأوروبية، فإننا نجد كلمتي: Texte , Text، مشتقتين من "Textus" بمعنى النسيج "Tissu" المشتقة بدورها من Texere بمعنى نسج [2].

فالأصل اللاتيني يحيل على النسج ويوحي بالجهد والقصد، ولعله يوحي أيضا بالاكتمال والاستواء، بينما يحيل الأصل في اللغة العربية على الاستواء والكمال وعلى النسيج أيضا، على الرغم من أن ابن منظور في مادة (نصص) لم يشر إلى ذلك، ولكن إذا عدنا إلى مادة (ن، س، ج) نجد ما يحيل على ذلك " نسج: النسج ضمّ الشيء إلى الشيء، هذا هو الأصل ... والريح تنسج الماء إذا ضربت متنه فانتسجت له طرائق كالحبك، ونسجت الريح الربو إذا تعاورته ريحان طولا وعرضا .

ونسج الكذّاب الزور: لفّقه، و نسج الشاعر الشعر: نظمه، ونسج الغيث النبات: أنماه حتى التفّ[3].

ومقارنة بما ورد في اللغتين العربية واللاتينية يؤدي معنى بلوغ الغاية والاكتمال في الصنع.

ومن الدارسين من يستخلص خصائص النص بمعناه الحداثي من التفسيرات المعجمية التراثية العربية، فهذا منذر عياشي يعرف النص استنادا إلى قراءته التراثية لاسيما ما ورد في تفسير مادة (ن، ص، ص) ويمزج ذلك بما تحقق له من القراءات

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 4441.

[2]– عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص17.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، ص 624.

الحداثية لتعريف النص في اللغات الأوروبية، فيقول:"... النص دائم الإنتاج لأنه مستحدث بشدة ودائم التخلف لأنه دائما في شأن الظهور أو بيانا، ومستمر في الصيرورة لأنه متحرك، وقابل لكل زمان ومكان لأن فاعليته متولدة من ذاتيته النصية، وهو إذا كان كذلك، فإن وضع تعريف له يعتبر تحديدا يلقي الصيرورة فيه، ويعطل في النهاية فاعليته النصية ..."[1].

إن هذه القراءة على الرغم من الجرأة التي تتميز بها، إلاّ أن محاولة تحميل التفسيرات المعجمية واللغوية التراثية دلالات غائبة في نصوصها، أصلا عبر عملية قسرية قد يؤدي إلى انحراف في قراءة التراث، وتأويله تأويلا قسريا، لا يفيد الدراسة الحداثية في شيء.

ويستخلص من بعض الدراسات الغربية المهتمة بنظرية النص أن تعريفه غير مستقر، فهذا رولان بارت يرفض تعريف تودوروف للنص ويعيب عليه أثره بالبلاغة وينتهي إلى القول بعد تحليل طويل: "نفهم الآن أن نظرية النص موضوعة في غير مكانها المناسب في المجال الحالي لنظرية المعرفة، ولكنها تستمد قوة معناها من تموضعها اللامناسب بالنسبة للعلوم التقليدية من جهة الإقرار بأن التعريف الوظيفي للأدب تعريفات لا يمكن حصرها، والوظيفة الأنطولوجية* تقدم أي وظيفة أخرى تتصل بالبناء النصي"[2].

ومن الصعوبات المنهجية في البحث عن مفهوم النص:" خضوع عملية تحديد ما هو نص وما ليس نصا إلى ثقافة الأمة، وصيغة تصورها للأشياء، وفق ما تمليه

---

[1]– منذر عياشي، النص : ممارساته و تجليات، ص 55.

*الوظيفة الأنطولوجية :ontology هي المبحث الفلسفي الذي ينظر في الوجود من حيث هو موجود.

[2]– عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص، ص 19.

المنظومة اللغوية، فالكلام الذي تعتبره ثقافة ما نصا، قد لا يعتبر نصا من قبل ثقافة أخرى"[1].

ويتمتع النص بخاصية التنظيم الفريد الذي يعزله عن "اللانص" لذلك اعتبر عبد السلام المسدي في كتابه: (النّقد والحداثة)" النص الأدبي جهازا ينظمه تماسك لغوي خاص"[2].

إن النص في منظور رولان بارت " ليس موضوعا، ولكنه عمل واستخدام وليس مجموعة من الإشارات المغلقة المحملة بمعنى يجب العثور عليها، ولكنه حجم من الآثار التي لا تكف عن الانتقال"[3].

وعند عبد الملك مرتاض فالنص: "هو شبكة من المعطيات اللسانية والبنيوية والايديولوجية، تتضافر فيما بينها لتكون خطابا، فإذا استوى مارس تأثيرا عجيبا، من أجل إنتاج نصوص أخرى، فالنص قائم على التجددية بتعدد تعرضه للقراء"[4].

ولعل هذا ما تطلق عليه جوليا كريستيفا "إنتاجية النّص"، "حيث إنه يتخذ من اللغة مجالا للنشاط، فترات يتردد إلى مالا نهاية، محدثا بعدا بين لغة الاستعمال الطبيعية وهي اللغة المسخرة لتقديم الأشياء والتفاهم بين الناس والحجم الشاغر للفعاليات الدالة "[5].

---

[1]– الخديري أحمد، من النص إلى الجنس الأدبي، الفكر العربي المعاصر، العدد المزدوج 54–55، مركز الإنماء القومي، بيروت /باريس،1988، ص 41–48.

[2]– المرجع نفسه، ص 41.

[3]– عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب و قضايا النص، ص 24.

[4]– عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي " لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 55.

[5]– المرجع نفسه، ص 57.

"ويجمل محمد مفتاح تعريف النص فيرى أن النص مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة"[1]، ويعني بأنه مدونة كلامية أنه مؤلف من الكلام، وليس صورة فوتوغرافية، أو رسما، أو عمارة ...، وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وخصائصها وهندستها في التحليل، أما قوله حدث فيعني أن كل نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين، أما الوظائف المتعددة للنص فمنها أنه:

3-تواصلي، يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف.

4-تفاعلي، حيث يقيم النص علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع.

5-توالدي ، بالرغم من أن النص مغلق من حيث سمته الكتابية إلا أنه ليس منبثقا من عدم، وإنما هو متولد من أحداث تاريخية، ونفسية، ولغوية ... وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له .

إن جوهر الخطاب الأدبي في وجوده المبدئي، كما يرى الدكتور عبد السلام المسدّي " متناف مع خصائص حوار التخاطب بكل قوانينه الآدائية، وأبرزه أن الكلام في المحاورة ينبثق ثم يتبدى في عين اللحظة التي يكون قد أدى فيها وظيفته الإبلاغية فهو يتولد وينقضي بلا مراوحة، إلا الكلام الأدبي فإنه ينبثق ليبقى ويتكشف ليخترق حجاب الزمن"[2].

ولذلك كان لزاما أن يدخل من عناصر تحديد النص شيء آخر غير بنيته التركيبية، فهو وإن كان في ذاته صياغة لغوية فإنه إلى جانب ذلك بنية آدائية.

فالنص إذن تركيب وأداء وتقبل، أو هو ملفوظا وتلفظ واستقبال، غير أن الأمر لا ينتهي عند عملية التلقي، فللمتلقي حالات متطورة مع النص.

---

[1]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص 120.

[2]- عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، دراسة ونماذج، دار الجنوب للنشر، تونس، 1995، ص 51.

وتأسيسا على ما تقدم، فإن " النص الأدبي هو فعل أو ظاهرة سيميائية تشمل علامة مادية ولغوية متعددة المعاني، إيحائية تتجاوز واحدية الدلالة Monosèmie إلى تعدديتها Phlysémie "[1].

ونخلص مما سبق ذكره، إلى أن النص ورد في كثير من الكتب التراثية، على الرغم من الصعوبات التي قد وجدت في الحقل المعرفي، نظرا لتعدد وجهات نظر الدارسين حول مفاهيمه وتصوراته ومناهجه، وهذا الاضطراب ناجم عن تشعبه وتداخله مع اختصاصات كثيرة، بالإضافة إلى تعدد المشارب الفكرية واختلاف المنطلقات الفلسفية للمختصين، إلا أنه يحيل إلى وعي القدماء من المفسرين وغيرهم بضرورة التمسك بالنص، أيا كانت طبيعته .

وفي الأخير نستنتج أن علاقة النص بالخطاب هي علاقة احتواء وتبادل فدلالتهما تتداخل حينا وتتقاطع حينا، وتتكامل أحيانا أخرى.

[1]–المرجع السابق، ص 53.

# الفصل الثاني

## النص والخطاب بين النظرية والتطبيق

**أولا : أهم المسائل النقدية في الكتاب**

**1- بلاغة الخطاب**

**2- نحو علم النص**

**ثانيا : النص والخطاب ودلالتهما من خلال الكتاب**

**ثالثا : المفاهيم المرافقة للمصطلحين**

**1- الخطاب والنص**

**2- الخطاب والأسلوبية والشعرية**

**3- الخطاب والقول**

**أولا : أهم المسائل النقدية في الكتاب**

**1- بلاغة الخطاب**

تطرق النّاقد صلاح فضل في هذا الفصل إلى عدة مراحل مرت بها بلاغة الخطاب وتتمثل في:

**- الإتجاهات الجديدة:**

أخذت بحوث البلاغة الجديدة تنمو منذ نهاية عقد الخمسينيات حتى الآن، عبر ثلاثة آفاق متجاورة ومتتالية، وإن كانت متباينة في أهدافها تمثل طرائق مختلفة في منظور التجديد وأدواته المنهجية[1]، وقد ولدت هذه البلاغة الجديدة في حضن البنيوية النقدية ذات النزوع الشكلاني الواضح، ويمثلها "جيرار جينيت" و"جان كوهين" و"تودوروف" و"جماعة ليجا"[2].

ويأتي في هذا الاتجاه لتحليل الخطاب بمنهج وظيفي مجاوز للاتجاه البنيوي ومعتمد على السيميولوجيا من ناحية والتداولية من ناحية أخرى، "وقد اتضح أن مفهوم بلاغة الخطاب مرهون بالاعتداد بها كعلم لكل أنواع الخطاب، علم عالمي في موضوعه وفي منهجه مهما اختلفت الأسماء التي تطلق عليه، إذ أننا نجد من يسميه "النحو العالمي للخطاب" في مقابل من كان يحصره في الخطاب القضائي أو الأدبي"[3]، وبالرغم من تنوع مادة الخطاب إلا أنه سيظل هناك" فن شكلي عام" قابل للتطبيق على مختلف الأنواع.
وقد التقى هذا التيار ببحوث تحليل الخطاب من منظور وظيفي تداولي لغوي، كما أخذ يصب بشكل مكثف في اتجاهات علم النص كما سنشرح على التوالي:

---

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1996، ص65.

[2]- المرجع نفسه، ص66.

[3]- المرجع نفسه، ص 66.

- **بلاغة البرهان:**

" يرى بيرلمان أن نظرية المحاجة لا يمكن أن تنمو إذ تصورنا أن الدليل البرهاني إنما هو مجرد صيغة مبسطة بديهية، ولذلك فإن هدف نظرية البرهان لديه هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الاشخاص للفروض التي تقدم لهم"[1].

"ويقول بيرلمان في تحديد موضوعه إذا كانت القرون الثلاثة الأخيرة قد شهدت أعمالا كبرى تدور حول المشكلات الفلسفية والأيديولوجية، فإن المناطقة المحدثين قد أغفلوا هذا الجانب، مما يجعل نظريتنا تقترب مرة أخرى مبدئيا من شواغل عصر النهضة، ولذا فإننا نقدمها باعتبارها بلاغة جديدة"[2].

ويرى بأن بحوثه البرهانية تتجاوز بآماد بعيدة بلاغة الأقدمين، وتغفل بعض الجوانب التي ظفرت باهتمامهم، فالنسبة لهم مثلا كان هدف البلاغة قبل كل شيء هو فن الكلام المقنع للجمهور.

يقول الناقد صلاح فضل أنه إذا كانت البلاغة بالنسبة للأقدمين هي دراسة التقنيات التي يستخدمها عامة الخطباء للوصول بأسرع ما يمكن إلى النتائج المستهدفة وتكوين الآراء، فإن البحث في البرهان لا يمكن أن يقتصر على ما يناسب هذا الجمهور الجاهل.

ويرى بأن الخاصية الأساسية لهذه البلاغة الجديدة "منطقية" وليست تجريبية فنظرية البرهان التي تهدف الى بحث سبل التأثير عبر الخطاب بشكل فعّال في الأشخاص كان يمكن أن تدرس كفرع من علم النفس، وعندئذ تتحول الى موضوع يتصل بعلم النضج التجريبي، أما " بيريلمان" فيصرح بأنه يستلهم عمل المناطقة ويتخذ منهاجهم التي أعطت ثمارا جيدة منذ قرن تقريبا، إذ أن" المنطق قد استطاع ان يظفر بدفعة قوية

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 67.

[2]– المرجع نفسه، ص67

منذ منتصف القرن الماضي عند ما كف عن تكرار الأشكال القديمة، وأخذ في تحليل البرهان التي يستخدمها الرياضيون بالفعل"[1]، ومن أهم المبادئ التي تعيننا كذلك في هذه البلاغة ربط الشكل بالمادة ومقاومة الاتجاه المدرس إلى الفصل بينهما.

وبصفة عامة ينتهي "بيرلمان" إلى القول بأنه لا يوجد أدب بدون بلاغة على أن نفهم من هذا المصطلح فن التعبير، لكن أدوات هذا "الفن تفقد فعاليتها بقدر ما يتم تلقيها باعتبارها مجرد اجراءات بلاغية فالقيمة، البرهانية لا تقرض للإهدار مادام منتج الخطاب يعطي ايحاء قويا عن نفسه وعن الأشياء.

- **البلاغة البنيوية العامة:**

تبلور هذا الاتجاه في عقد الستينيات من هذا القرن في كتابات مجموعة من النقاد البنيويين من المدرسة الفرنسية والألمانية، حتى أعلنته "جماعة م" في بحوثها المتتالية، وقد اهتم أنصار هذا الاتجاه البنيوي تبعا لذلك بتحليل علاقات الأجزاء الخمسة المعروفة في البلاغة وهي: الأغراض والترتيب والعبارة والذاكرة والفعل، بنظائرها في النظام اللغوي الحديث وذلك عن طريق التمييز بين عمليات التلفظ واللفظ ذاته.

و" إذا كان مستوى التعبير اللفظي يحيل الى الصوتيات والصرف فإنه عندما يتم التغيير التركيبي في الجمل، وتنجم عن ذلك نتائج بلاغية فإنه يحيل أولا إلى النحو، وهكذا فعلينا أن نحدد درجة الصفر الخاصة به حتى نميز النتائج البلاغية، مستفيدين بقدر الإمكان من النحو التحويلي ومن الاتجاه الوظيفي في اللغة، وبصفة عامة فإن النحو يظل يحتل مكانا يسبح بين الصرف والمنطق والدلالة وهكذا عندا يكتشف "جاكبسون" مظهرا "أيقونيا" يتعلق بالرسم البياني في الظواهر بأنه يفضي بنا إلى منطق بنية الجملة... وكما يقول

[1]- المرجع السابق، ص69-70.

فإن الترتيب الكلمات في معظم اللغات المعروفة يستجيب لعوامل عدة طبقا لمنطق المعنى"[1].

ويتوصل الناقد إلى انه سواء كان الأمر يتعلق بالمنظور البلاغي أو النحوي فإن ترتيب الكلمات هو المظهر الرئيسي للتركيب وما ينجم عنه من مسائل للتقديم والتأخير، وعندما يتلاعب الشاعر بالجملة العادية ليجري على نظامها عشرات التحولات فإنه يعطينا فكرة واضحة عن التنويعات المختلفة التي يقدمها توزيع الوحدات بعناصرها العديدة، وربما يكون من المثمر على المستوى البلاغي أن نقيم تمييزا بين النظام العقلي والنظام العاطفي للكلمات.

"ويرى البلاغيون الجدد أن علم الدلالة البنيوي الحديث هو الذي يعد أصلح أساس لتنظيم مسائل هذه المشكلة بدقة، إذ أن ما تركه البلاغيون القدماء من تراث غني متصل بالتغييرات الدلالية المجازية عموما وببعض الأشكال الخاصة مثل الاستعارة يمثل ركاما هائلا مختلط ابتكر فيه نفس القواعد والأمثلة"[2].

وحينئذ يعمد هؤلاء البلاغيون الجدد إلى التمييز بين التغييرات الدلالية والمنطقية على اعتبار أن التغيير الدلالي يستبدل محتوى الكلمة بأخرى، وقد عرفه القدماء بأنه إطلاق كلمة واردة أخرى ليس لها نفس معناها بالضبط، وقصدو من ذلك الى تقنين المجاز وتحديد مداه.

ويؤكد صلاح فضل حقيقة هامة وهي أن المجاز الشعري انحراف ظاهر له علامته، ولكي يكون هناك انحراف لابد أن يقوم توتر في الخطاب أو تباعد بين الوحدات الدلالية، ولئن صح القول بأن التغيير الدلالي قد ينحصر في تعديل كلمة واحدة على

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص77.

[2]– المرجع نفسه، ص 83.

اختلاف الاتجاهات التحليلية في ذل كما يسرد في هذا البحث فلا بد أن نضيف لإكمال هذه الفكرة بأن الشكل المجازي لا يمكن إدراكه إلا في جملة أو في سلسلة قولية.

"ويشير إلى أن الثقافة الغربية في القرن التاسع عشر كانت مشمعة في ذوقها العام بالروح الأدبي التواق، مما يجعل تعبير" بودلير" بصيغته الاستفهامية المتسائلة يقع بدون شك في نطاق الاستعارة ويصبح استعارة صريحة لو قال:" ياله من إله" حيث تعتبر البلاغة الغربية التشبيه البليغ الذي حذفت منه الأداة استعارة"[1].

ومجمل الأمر طبقا لهذا التحليل أن التغيير المنطقي يتطلب معرفة المشار إليه، كي تناقض الوصف الأمين الذي نقدمه له ، وأنه عن طريق التغييرات الدلالة المتداعية يمكن الوصول عرضا إلى تغيير معاني الكلمات التي كانت تتعارض في البداية مع المعلومات المباشرة للتلقي أو الوعي.

- **التحليل التداولي للخطاب:**

يرى صلاح فضل أن المهمة الأولى لتحديد علاقة البلاغة بالتداولية في هذا الاتجاه هي تعريف مجال كل منها، خاصة لأن هناك بعض التعريفات الموسعة المريحة التي لا تساعد على التحديد العلمي الدقيق، "يقول الباحث الألماني " لوسبرج " إن البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصويرية واللغوية، يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد، وبنفس الطريقة يرى "نتش" أن البلاغة تداولية في صميمها إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يجلان اشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما"[2].

غير أن دارسي التداولية يرون أنه من المناسب تضييق مجال دلالة البلاغة باعتبارها أداة ذرائعية، وإلا أصبح من الممكن اعتبار كل شيء بلاغة، تأسيسا على أن

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 85.

[2]– المرجع نفسه، ص 89.

لكل شيء أهدافه النفعية، ويعنى التداوليون بالاقتراب من الخطاب كموضوع خارجي، أو شيء يفترض وجود فاعل منتج له، وعلاقة حوارية مع مخاطب أو مرسل اليه، ومن الناحية الألسنية فإن فكرة الفاعل ضرورية لمتابعة تحولات اللغة في الخطاب.

وما يهمنا في هذا التحليل التداولي إنما هو الخطاب وفاعله، الفاعل الذي نعرفه فحسب من خلال خطابه، أي بالكيفية التي يقدم بها نفسه، "ويرى التداوليون أن الخطاب ينقسم إلى نوعين كبيرين خطاب مباشر وآخر غير مباشر، وتوضيحا لحالات هذا الخطاب المباشر يذكر صلاح فضل بعض الأمثلة والأشكال الخاصة به:

– يمكن أن نستخدم كلمات شخص آخر لكي يعبر الإنسان عن نفسه، دون أن يغفل على هذه الكلمات التي صدرت عن شخص آخر.

– وأحيانا أخرى فإن الخطاب المباشر يراد به مجرد توصيف المتكلم المذكور بدون التعبير عن أي حكم قيمة صريحة عنه أو عن كلماته، ولنتصور عبارة مثل "أمكم تقول: تعالوا حالا يا أولاد" فالمتكلم يجعل نفسه مجرد ناطق باسم الأم.

– ولكن الظاهرة تصبح واضحة بطريقة ملموسة في مستوى آخر عندما يتم استخدام الشفرة اللغوية المميزة للمنقول عنه في التعبير، لا شفرة المتكلم ومن المعروف أن اللهجة والطريقة الخاصة تميز المستعمل وتشي بانتمائه لجامعة خاصة"[1].

"أما القسم الثاني من أشكال الخطاب الكبرى فهو الخطاب غير المباشر وهو يتولد عند امتصاص خطاب آخر وأدائه بطريقة غير حرفية، الأمر الذي يجعله مختلفا عن الخطاب المباشر إذ يقوم القائل هنا بإعادة صياغة الكلام الذي ينقله متوخيا الدقة في نقله، ومن المعتاد في الأدب كما يقول التداوليون– استخدام تغيير الشفرة اللغوية على وجه التحديد لتقديم الشخصيات والتعريف بها"[2].

---

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص91–92.

[2]– المرجع نفسه، ص 92–93.

ويتضح للناقد أن الخطاب من هذا المنظور يظل هو الأولى بالرعاية باعتباره نمطا من الإنتاج الدال يحتل موقعا محددا في التاريخ، ويشغل علما بذاته كان يسمى البلاغة من قبل، وهو الآن بما اعتراه من تحول معرفي أسهمت فيه البحوث السيميولوجية يسمى "علم النص" وعندما نشغل الآن بهذا الخطاب النصي ونصف طريقة قيامه بوظائفه فإننا نلاحظ أن النظم البنيوية التي تكونه تتصل من الوجهة التداولية بظروف إنتاجه مثلما تتصل بمشكلات فهمه وقراءته.

- **من القاعدة إلى الظاهرة:**

"كانت هناك سمة عامة، نلمسها في جميع الكتب البلاغية في الشرق والغرب ناجمة عن طابعها المعياري المطلق، الذي يحدد القواعد المنطقية بالمفهوم الصوري الأرسطي، ويعني بالتعريفات والتصنيفات العقلية وهي تعاليها الظاهرة عن حركية الإنتاج الأدبي في واقعه التاريخي المحدد، وقد يبدو للوهلة الأولى أن الاعتماد على القواعد العامة يضمن الطابع الكلي للعلم ويبعده من التشذر والجزئية، لكن الحقيقة أن هذا النوع من "الكلية" لم يكن علميا، – بالمفهوم الحديث للعلم– إذ لا يعتمد على نظرية تلاحظ جملة الوقائع وتقدم تفسيرا شاملا لتجلياتها المختلفة"[1].

" كما أننا لم نعثر عند هؤلاء البلاغيين على أية مجموعة متماسكة من المبادئ التصورية المستخلصة من أساليب الشعر العربي في عصوره المحددة، بل إن ما يطلق "عمود الشعر" وهو جملة الخواص التعبيرية ذات الصيغة البلاغية المشغولون بالتعريفات والتضييقات الجزئية بتجميعه وتحديده وبلورته كاتجاه عام تقاس عليه مذاهب الشعر وأساليبه بل قام بذلك النقاد كما هو معروف في تاريخ الفكر الأدبي عبر خصوماتهم حول

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص100.

شعراء معينين في كتب الموازنات والمفاضلات بين اتجاهات القدامى والمحدثين في عصرهم"[1].

ومع أن البلاغة العربية قد استمدت كثيرا من مفاهيمها من تراث المعالم الأولى، كما يتجلى في كتابي "الخطابة والشعر"، فإنها قد تجاهلت أهم مبادئه التي كان من الممكن أن تعدل من هذا المنظور.

"ومع أن البلاغيين قد كسروا قاعدة وقف الاستشهاد عند فترة زمنية محددة وكانوا اكثر احتفاء بمبدعي العصر العباسي الثاني، إلا أن هذا النموذج المثالي ظل مسيطرا في اعتبار إنتاج العصور الأولى الذروة التي لا يبلغها اللاحقون والقاعدة التي يقاسون عليها"[2].

كما يرى الناقد صلاح فضل أن فكرة المعيار التعقيدي تستولي على البلاغيين "فنجد ابن طباطبا العلوي يتخذها عنوانا لكتابه "عيار الشعر" ونقرا فيه مثلا هذا المشهد المفعم بالأوامر والنواحي البلاغية:" ينبغي للشاعر في عصرنا أن لا يظهر شعره إلا بعد ثقته في جودته وحسنه وسلامته من العيوب التي نبه عليها، وأمر بالتحرر منها، ونهى عن استعمال نظائرها.

ولا يضع في نفسه أن الشعر موضع اضطرار وأنه يسلك سبيل من كان قبله، ويحتج بالأبيات التي عيبت على قائلها، فليس يقتدي بالمسيء وإنما الاقتداء بالمحسن..."[3].

ويتضح للناقد أن فكرة المعيار التي كانت طاغية في الشرق والغرب إبان العصور الكلاسيكية كانت تعوقهم عن الاعتراف بحق الشعراء المتأخرين في الصدور عن تجاربهم الخاصة التي تميزهم عمن سبقهم، وعلى هذا فإن النزوع المعياري للبلاغة القديمة ليس

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 101.

[2]– المرجع نفسه، ص 107.

[3]– المرجع نفسه، ص 109.

ظاهرة يلتمس الدليل عليها، إذ أنها في صلب التصور الجوهري للبلاغة والمنظومة للعلوم الخاصة بها.

"إن انتقال البلاغة من المعيارية إلى الوصفية، ومن القاعدة إلى الظاهرة لا يتبع النموذج العلمي المعترف به في الدراسات الإنسانية كلها فحسب وإنما يتبع أيضا نوعا من الضرورة المعرفية التي تتسق مع طبيعة التحول الحضاري في العصر الحديث، ولعل السبب البعيد لهذا التحول هو ظهور البورجوازية وقيمها الأيديولوجية الجديدة، وما يعيننا في هذا الصدد هو أن تلك القطيعة تمثلت في تجاوز ونوع من رؤية العالم كان يعتمد على قيم مطلقة وعالمية"[1].

ومن هنا يقول الناقد صلاح فضل أنه يتعين على الدارس البلاغي للخطاب أن يتبنى منهج اللسانيات الوصفية، ببعده الديناميكي المفتوح، محاولا تحديد الأشكال اللغوية المناسبة في النص فمحلل الخطاب يعتبر الكلمات والعبارات والجمل، التي تظهر في المدونة النصية لخطاب ما دليلا على محاولة المنتج توصيل رسالة الى المتلقي.

## 2- نحو علم النص

- **النص وعلمه:**

يرى الناقد صلاح فضل بأن هناك تعريفات متعددة تشرح مفهوم النص"texte" بصفة عامة، وأخرى تبرر الخواص النوعية الماثلة في بعض أنماطه المتعينة، خاصة الأدبية لكننا لا نصل إلى تحديد واضح قاطع بمجرد ايراد التعريف بل علينا أن نبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيمولوجية الحديثة.

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص112،113.

"يعد النص جهازا عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية مشيرا إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها، وهكذا فإن النص يمثل عملية إنتاجية عن طريق تفكيك اللغة وإعادة بنائها، ويمثل عملية استبدال من نصوص أخرى، أي تناص ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى"[1].

" ويتخذ الباحث السيميولوجي الروسي "لوتمانlotman " منظور أكثر شمولا عندما يدرج مفهوم النص في تصوراته الكلية عن الفن، فيرى أن تحديد النص يعتمد على المكونات التالية:

1-التعبير: فالنص يتمثل في علاقات محددة، تختلف عن الأبنية القائمة خارج النص.

2- التحديد: فالتحديد لازم للنص، وهو بهذا المعنى يقوم في مقابل جميع العلامات المتجسدة ماديا والتي لا تدخل في تكوينه.

3-الخاصية البنيوية: إن النص لا يمثل مجرد متوالية من مجموعة علامات تقع بين حدين فاصلين فالتنظيم الداخلي الذي يحيله الى مستوى متراكب أفقيا في كل بنيوي موحد لازم للنص"[2].

يستخلص الناقد من ذلك أن مصطلح النص عندما يستخدم في الأدب ينبغي أن يعتمد على عدد من المبادئ الهامة طبقا للسياق الذي يرد فيه.

فإذا قبلنا هذا التحديد للمصطلح فإن التحليل النصي يتوجه بصفة خاصة إلى مادة محددة في تركيبها الأفقي، هي تلك التي تقع بين بداية النص ونهايته.

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 211-212.

[2]- المرجع نفسه، ص 215-216.

"بيد أن هناك الطابع التركيبي للنص لا يقتضي كما أسلفنا اتخاذ معيار متصلب للامتداد الطولي، فالنص يمكن أدبيا يمكن أن يكون مقطوعة شعرية لا تتعدى مساحتها صفحة أو بعض صفحة ويمكن أن يكون رواية تستغرق مئات الصفحات"[1].

"وهناك سمة أساسية أخرى للنص الأدبي شغلت الباحثين البنيويين ومن يهتم من التفكيكيين بالأدب وهي علاقة النص بالكتابة وارتباطهما معا بمصطلح الخطاب، بحيث يعد الخطاب من هذا المنظور حالة وسيطة تقوم ما بين اللغة والكلام، وهذه السمة ذات أهمية خاصة في عمليات الفهم والتأويل أي في عمليات إنتاج النصوص وإعادة إنتاجها مرة أخرى"[2].

- **علم النص:**

يرى الناقد صلاح فضل بأن مهمة علم النص تتمثل في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة، كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة، " كما يبرز علماء النص اعتماده بصفة خاصة على البحوث التجريبية والمنجزات النظرية لعلم نفس المعرفة وارتباطه الوثيق بميدان الذكاء الاصطناعي الذي يتطور بسرعة فائقة في النشاط اللغوي للعقول الإلكترونية"[3].

" إن تحول البلاغة الجديدة في الواقع إلى علم النص يرتبط بمدى قدرة البلاغة في الثقافات المختلفة على تكوين نموذج جديد لإنتاج الخطاب بكل أنماطه، دون الاقتصار على نوع واحد منه، كما كانت تفعل البلاغة القديمة فهناك من يعيد قراءة البلاغة ليجعل منها علما وصفيا بحتا، في مقابل اتجاه آخر يعيد قراءتها ليقيم منها علما توليديا يبحث

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 217.

[2]– المرجع نفسه، ص 218.

[3]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص230.

في كيفية الإنتاج الخلاق للنصوص مما يفضي بها عندئذ إلى أن تصب في علم النص"[1].

ويلاحظ الناقد بأن المقاربات المختلفة لكل من مفاهيم النص والبلاغة تفضي بالضرورة إلى عرض أحدهما على الآخر، وإذا كان تحديد المصطلح على النطاق العالمي ضروريا لأنه يعطي للحركة العلمية إيقاعها، ويمثل تطورها المعرفي فإنه أشد إلحاحا بالنسبة للأفق الثقافي العربي لمحاولة كسر طوق الدراسات التاريخية لمشكلات الخطاب النصي .

- **الأبنية النصية:**

يعتمد تفكيك النص إلى الوحدات المكونة له على الإدراك السليم لبنيته العليا، مما يعد شرطا ضروريا لتحليل علاقاته وضبط خواصه، كما لا مفر لنا عند تحليل النصوص من توظيف معرفتنا الأدبية بخواص الأجناس التي تنتمي إليها هذه النصوص" فالتحليل النصي يبدأ من البنية الكبرى المتحققة بالفعل، وهي تتسم بدرجة قصوى من الانسجام والتماسك ويشرح لنا علماء النص الشروط التي تتيح لنا أن نعرف ما إذا كانت المتوالية النصية متماسكة أولا"[2].

فالخطوة الهامة في نظر الناقد عند تحليل العلاقة بين الوحدات في المتتالية النصية مرهونة بالكشف عن البنية الكبرى.

"وتطلق تسمية "الأبنية الكبرى" إذن على الوحدات البنيوية الشاملة للنص ومن ثم فإنه بوسعنا أن نطلق "الأبنية الصغرى" على أبنية المتتاليات والأجزاء للتمييز بينهما وبين الأبنية النصية الكبرى، أما كيفية تحديد البنية الكبرى للنص فإنه من الملاحظ أن القراء

[1]– المرجع السابق، ص 232–233.

[2]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 235–236.

يختارون من النص عناصر مهمة تتباين باختلاف معارفهم أو آرائهم وعليه يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص إلى آخر"[1].

"أما قواعد الوصول لهذه الأبنية الكبرى للنصوص فهي كما يشرحها "فان ديجك" تتمثل فيما يلي:

1- الحذف 2- الاختيار 3- التعميم 4- التركيب أو البناء

ومن الوجهة الشكلية فإن القاعدتين الأوليين هما للإلغاء والثانيتين للإبدال.

وبهذا فإن البنية الكبرى ينبغي أن تتبثق بالنسبة لمحتواها كنتيجة لبنية صغرى أو لبنية كبرى أيضا لكنها في مستوى أدنى منها، هذا فضلا عن أن كل بنية كبرى ينبغي أن تحقق شروط التماسك العادية لمجموعات الأقوال"[2].

وإذا كانت البنية الكبرى للنص ذات طبيعة دلالية كما رأينا، وكانت متعلقة ومشروطة بمدى التماسك الكلي للنص، فإن الذي يحدد إطارها نتيجة لذلك هو المتلقي لأن مفهوم التماسك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضفيه القارئ على النص.

"ومن هنا يرى الباحثون أن المشكلة الأساسية التي تقوم عند مواجهة مفهوم تماسك النص تنبثق من طبيعة النص ذاته، إذ تنصب عليه بحوث متعددة الاختصاصات والتوجهات مما يجعل تحديد مفهوم عام للتماسك أمرا عسيرا فبالنسبة لبعض العلماء- مثل هيلمسيلف- نجد أن التماسك يعني الصلابة والوحدة والاستمرار"[3].

أما علماء النص فإنهم كما رأينا يولون التماسك عناية قصوى ، ويتجاوزون في شرحهم له تلك المرحلة الحدسية، فيذكرون أنه "خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقاتها بما يفهم من الجمل الأخرى".

---

[1]- المرجع السابق، ص237.

[2]- المرجع نفسه، ص238.

[3]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص243.

"وفي الأخير يرى" لوتمان" بالرغم من ذلك أن هذه العمليات لن تقدم سوى هيكل عام أولي للنص، إذ أن وصف كل الروابط الماثلة في النص، وجميع العلائق الخارجية له يعتبر مهمة غير واقعية لضخامتها وقلة جدواها، وعندئذ تتجلى ضرورة اختيار المستويات المهيمنة للكشف عن الأبنية الدالة مع توضيح أسباب الاختيار ونتائجه في إضاءة النص"[1].

**ثانيا: النص والخطاب ودلالتهما من خلال الكتاب**

لقد تأرجح مفهوم الخطاب في دلالته- في النقد العربي الحديث- بين النسج عن الغرب، واتخاذ مفاهيمه أساسا للحكم على النص العربي، وبين الانطلاق من المفهوم الغربي وصياغة مفاهيم جديدة تتساوق والنص العربي المدروس وفي الحالتين يصار إلى استبعاد الأساس العربي الذي رسم حدودا لمفهوم الخطاب لا تبعد في جوهرها عن المفهوم الغربي الحديث له، ويعلل صلاح فضل هذا التباعد الملحوظ بين المفهوم الجديد للخطاب والمفاهيم التراثية بأن" مجموعة التحولات المعرفية والمنهجية التي جدت في نظرية اللغة وأصولها ومستوياتها ووظائفها، وطرق تحليله ووظائفه المتعددة بشكل كلي شامل، مما يجعل أية مقاربة علمية لهذا الخطاب تختلف في محدداتها ونهجها عن المقاربات البلاغية السابقة"[2].

كما يمكن القول أن النقاد المغاربة هم الذين عمموا استخدام مفهوم الخطاب مقابلا لـ Discourse في الانجليزية و Discours في الفرنسية وكان استخدام النقاد المشارقة لمفهوم الخطاب تاليا لهم، وأخذوا عنهم – بتعبير أدق- ومن هنا فإن صلاح فضل الذي تعود في كتبه الأولى على استخدام مفهوم القول ثم عاد عن هذا الاستخدام تماما.

---

[1]- المرجع السابق، ص251.

[2]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص26.

واستخدم عوضا عنه مفهوم الخطاب متبادلا مع مفهوم النص، وإن كان يغلب على كتاباته المتأخرة استخدام مفهوم النص وليس الخطاب، على افتراض أن النص هو الشكل النهائي يقول:" إن وصف التوظيف السيميولوجي لا يتأتى عن طريق تحليل المكونات المعجمية والجملية، وإنما عن طريق البحث في الخطاب بأكمله، وإذا كان اللغويون قد تعودوا أن ينتقلوا من الأصوات إلى الكلمات ثم إلى الجمل، وقد شرعوا في الآونة الأخيرة في التدرج نحو الخطاب ثم منه إلى الطبيعة والعالم"[1].

إلا أنه يرى أن التحولات المعرفية الجديدة وإسهامات البحوث السيميولوجية أفضت إلى ما يسمى ب"علم النص" فإن الخطاب من هذا المنظور ظل هو الأولى بالعناية باعتباره نمطا من إنتاج الدال، يمثل موقعا محددا في التاريخ أو يشغل علما بذاته كان يسمى البلاغة من قبل، وهو الآن بما إعتراه من تحول معرفي أسهمت فيه البحوث السيميولوجية يسمى علم النصscience du texte "[2].

وبناء على ما يقدمه يطلع علينا صلاح فضل بمفهوم جديد هو الخطاب النصي، متخليا مبدئيا عن الخطاب ثم عن الخطاب النصي، وصولا الى علم النص" لكن ما يستحق التركيز عليه هو كيفية الانتقال- في النظرية السيميولوجية- من الجملة إلى النص، إذ أن هذا الانتقال لا يعود مطلقا إلى مجرد معايير التوسع الكمي في الأبعاد بل – على العكس من ذلك- يتصل بتغيير نوعي أخذ يسمح بتكوين ما يسمى بأجرومية النص.....وبكلمات أخرى، تبين أن هذه الدلالة الكلية للنص تنجم عنه باعتباره بنية كبرى شاملة، هي على وجه التحديد موضوع علم النص"[3].

---

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 136.

[2]- فاضل ثامر، مدارات نقدية في اشكالية النقد والحداثة والايداع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987، ص214.

[3]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص136-137.

يتضح مما تقدم أن الخطاب عند المشارقة ليس محددا : مفهوما ولا تطبيقا، وأنه يدخله الخلط بمفاهيم أخرى نظرا لضعف وخلخلة الخلفية النظرية التي يستندون إليها خاصة إذا ما قارنا المفهوم عند المشارقة بالمفهوم ذاته عند المغاربة، فنلاحظ الوضوح النظري ومحاولة النقاد توضيح المرجعيات التي ينهلون منها في سبيل وضع القارئ بصورة الناقد حين يواجه النص.

إن مكان مفهوم الخطاب الأصلي في داخل النص وليس خارجه، لأنه نشأ في حضن اللسانيات البنيوية وخطاب النص يعني بالضرورة النظر إليه من الداخل، إلا أن إضافة الخطاب إلى الحقل آخر كقولنا: الخطاب الاجتماعي أو الخطاب النفسي أو الخطاب الفكري...الخ، يمكن أن يحفز النقاد المعنيين باتخاذ المفهوم ونقله من سياقه إلى سياق آخر يصدق به الحكم على النص الذي يراد تحليله.

إن الدراسة الاجتماعية للنص الأدبي حظيت باهتمام واحد في النقد العربي الحديث، ورأى أصحاب هذا الاتجاه أن دراسة البنية اللغوية أنها قائمة بذاتها من النظر القاصر، إذ "لابد من فحص ما هو خارج هذا الخطاب المتمثل في المبدع والمتلقي والسياق الاجتماعي والتاريخي المحدود، إضافة إلى مجموعة غير منظورة من العوامل التي تتحكم في إنتاج الخطاب بشكل عام"[1].

وبالمقابل يؤكد منذر عياشي على أن الرؤية الإيديولوجية هي تعسف على النص لأنه يغدو مجالا لأفكار مسبقة يريد الناقد استخلاصها ورؤيتها في النص الأدبي وبمقدار ما يكون النص ممثلا لهذه الأفكار يحكم عليه بالإيجاب أو السلب فهي تحكم على النص إما:

[1]- فاضل ثامر، مدارات نقدية في اشكالية النقد والحداثة والابداع، ص 228.

أ- من خلال الكاتب وانتمائه الطبقي، أي من خلال المعرفة المسبقة بالكاتب من جهة، ومن خلال الجدول التصنيفي الذي يوضع فيه الكاتب بناءا على انتمائه الطبقي من جهة أخرى.

**ب**- أو من خلال الموقف الذي يعبر النص عنه، ذلك لأن الأفكار مصنفة هي الأخرى وتتناسب مع الانتماء الطبقي لحاملها"[1].

يعرف هارتمانHARTMAN النص فيجد بأنه "علامة لغوية أصلية تبرز الجانب الإتصالي والسيميائي ومن الواضح التأكيد على خاصية الاتصال والعمومية اللغوية والدلالية أما فاينريش فقد حده بأنه تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل، فالربط هو السمة الأساسية في هذا التعريف وماعداه عام وخاص.

وإلى مثل هذا يذهب برنكر الذي يعرف النص "بأنه تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية، أخرى أشمل فالنص بنية كبرى تحتوي على وحدات صغرى متماسكة ليست جملا، وإنما أجزاء متوالية"[2]، وبهذا نرى أن النص يمكن أن يكون كلمة مفهومة أو جملة لا تندرج تحت وحدة أشمل.

إن المتأمل للتعريفات السابقة وغيرها يرى أن كل تعريف يركز على جانب واحد ويسقط من حسابه جوانب أخرى، ولهذا سوف نتبنى ذلك الاتجاه الذي أشار اليه الدكتور صلاح فضل عندما قال:" علينا أن نبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له

[1]- منذر عياشي، الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1998، ص179-180.

[2] - أحمد عفيفي، نحو النص، ص27.

في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة، لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب هو السطح اللغوي بكينونته الدلالية"[1].

فالنص إذن ليس مجرد لغة، وليس مجرد اتصال، وليس مجرد كتابة، وليس تتابعا لجمل مترابطة يراعي فيه الظروف الخارجية أحداثا وزمانا ومكانا، إنه يتكون من كل ذلك وأكثر من هنا سوف نقترب من تعريف جوليا كريستيفا كما أورده الدكتور صلاح فضل* لأنه – على تشابكه– قد ظفر باهتمام خاص فهو يرفض النظر إلى ظاهر النص فقط، ويؤكد هذه العلاقات المتداخلة وهذه المستويات والجوانب المتشابكة للنص، فهو أكثر من كونه مجرد خطاب لغوي، إن النص عندها" جهاز عبرى غير لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرا الى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها، والنص نتيجة لذلك إنما هو عملية إنتاجية مما يعني أمرين.

1– علاقته باللغة التي يتموقع فيها تصبح من قبيل إعادة التوزيع –عن طريق التفكيك وإعادة البناء– مما يجعله صالحا لأن يعالج بمقولات منطقية ورياضية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية الصرفة له.

2– يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى، أي عملية تناص ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى، مما يجعل بعضها يقوم بتحديد البعض الآخر".[2]

كما يقول رولان بارت "إنه إنتاج متقاطع يخترق عملا أو عدة أدبية إنه قوة متحولة تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد

---

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 229.

* سوف اعتمد على ترجمة الدكتور صلاح فضل لتعريف النص جوليا كريستيفا لدقته، وقد ورد في كتابيه، " بلاغة الخطاب وعلم النص" ص 229.و"مناهج النقد المعاصر" الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996م، ص112.

[2]– جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997، ص31.

المعقول والمفهوم إنه مبني مثل اللغة، لكنه ليس متمركزا ولا مغلقا إن النص يتكون من نقول متضمنة وإشارات واصداء للغات أخرى وثقافات عديدة ، تكتمل فيها خريطة التعدد الدلالي، إن النص مفتوح ينتجه القارئ في عملية مشاركة لأن ممارسه القراءة إسهام في التأليف"[1].

إن هذه الإشارات إلى النص جاءت من مفهوم تحليلي تفكيكي وليس من تعريفات محددة وهو ما ينبغي العمل به، ومن ثم نستطيع أن نحدد ملامح النص ونصفه ولا نعرفه من خلال تصور عام على أنه بنيه شمولية لبنى داخلية من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص.

" ومادام النص هو الأرض البكر التي يستثمر فيها النقد، فالتحليل يظل هو المفتاح للتفسير والتأويل ما بقيت اللغة عصية علم الفهم، تضمن بمكوناتها واسرارها ولا تبوح بها وعلى الناقد أن يتسلح بمنهجية من المناهج الكثيرة، إضافة إلى عوامل أخرى تبقى من سمات الناقد الجيد ليكشف خباياها، حيث يرى كل من (ريفاتير وجاكبسون) أن النص الأدبي ليس نتاجا بسيطا من العناصر المكونة بل هو بنية متكاملة فيها وجود فيزيولوجي أو سيكولوجي إلا في إطار البنية الكلية للنسق وعلى هذا الأساس لا يمكن تعريف أي عنصر منفصل إلا من خلال علاقاته التقابلية والتضادية بالعناصر الأخرى، في إطار البنية الكلية"[2].

وهذا ما حاول صلاح فضل استثماره في تحليله للنصوص الشعرية في تطبيق مقولات النص والحفاظ على منجزاته عندما اتخذ منهج التحليل الأسلوبي البنيوي.

فقد شهدت العلوم الإنسانية والاجتماعية نشوء مناهج جديدة تعتمد على التحليلات النصية، كمنهج تحليل المحتوى في علم الاجتماع، ومنهج تحليل المحادثة في علم الطب

[1] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 231.

[2]– المرجع نفسه، ص235.

النفسي، وهي شديدة الارتباط بمنهج تحليل النص الأدبي يقول الدكتور "صلاح فضل" و"ينبغي أن نؤكد الربط بين انتشار علم النص وذيوع التحليلات النصية في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة وبروز مناهج متعددة"[1].

ويقصد بمصطلح علم النص لسانيات النص، ويرى أيضا:" أن العلوم الجديدة تنمو كتخصصات من قلب علوم أخرى قائمة بوسائل متقاطعة"[2].

وهو ما ذهب إليه "فان دايك" من أن التحليل اللغوي للنص الأدبي ما هو في الحقيقة إلا تيار مواكب لما تعرفه العلوم الأخرى من تطور فلسانيات النص جزء من نزعة طفت على التوجه العام للأبحاث الحاصلة في العلوم المجاورة للدراسات اللغوية والأدبية وبخاصة العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلوم الاتصال والفلسفة والتاريخ"[3].

يقول صلاح فضل:" إن علم لغة النص مرتبط بعلم النص الذي يدخل في حساباته دراسة النص من جوانب كثيرة بعضها لغوي وكثير منها غير لغوي، ومما يجعلنا ندرك حجم هذا العلم(علم النص) الذي يدخل في مناهجه علوم كثيرة متشابكة ومتداخلة إلى حد كبير مثل اعتماده على البحوث التجريبية، والمنجزات النظرية لعلم نفس المعرفة، وارتباطه الوثيق بميدان الذكاء الاصطناعي...الخ"[4].

" لقد جرى يقطين رغم انشغاله على نصوص سردية في تتبع أثر النص والخطاب على مسح التوافقات والتعارضات بين المصطلحين مع طوائف عدة من الباحثين"[5].

---

[1]- المرجع السابق، ص319.

[2]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص320.

[3]- تون فان دايك، علم النص، تر: سعيد حسن بحيري، ص14-15.

[4]- صلاح فضل، المرجع السابق، ص 248.

[5]- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001، ص10-32.

نستخلص أن الخطاب مظهر نحوي يتم بواسطة إرسال القصة، وأن النص مظهر دلالي يتم من خلاله إنتاج المعنى من لدن المتلقي.... وفي الخطاب نقف عند حدود الراوي والمروي له، أما في النص تتجاوز ذلك إلى الكاتب والقارئ إنه توسيع مشروع تؤسسه على قاعدة الترابط والانسجام بين الحكي كخطاب والحكي كنص وبين باقي مكوناتهما في علاقتهما بالقصة"[1].

إن تأمل كلام سعيد يقطين يؤدي بالضرورة إلى تصور تلك الفروقات بين النص والخطاب على مستوى النحو والدلالة، وعلى مستوى عملية التواصل (الراوي والمروي له/ القارئ والكاتب) بفعل التجاور، لأنه يغلب فكرة "النص أشمل من الخطاب" بل "النص خطاب مترابط" مثبت بواسطة الكتابة"[2]، يقوم على الترابط والانسجام من جهة والتواصل من جهة أخرى.

تضاربت الآراء واختلفت بين قائل بأن النص والخطاب لهما نفس المعنى، وبين من يرى وجود فرق بينهما، ضمن الدارسين الذين يرون أن النص هو الخطاب" روجر فاولرROGER FOWLER فهو يقول بأن" كل نص خطاب، فعل لغة من لدن مؤلف ضمني، له تصميم محدد الهوية"[3]، فالنص والخطاب إذن مترادفان والرأي نفسه عند "جوليا كريستيفاJULIA KRISTEVA" التي ترى بأن" النص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العلم والإيديولوجيا والسياسة"[4].

فهناك الكثير من الدراسات التي تحلل النص وهي تقصد الخطاب، وكما أن بعض الدراسات التي تقف عند مفهوم الخطاب، وتوضح أمره وحدوده، تقع في الخلط نفسه حين

---

[1]– سعيد يقطين، إنفتاح النص الروائي، ص32.

[2]– المرجع نفسه، ص28.

[3]– فاولر روجر، اللسانيات والرواية، تر: لحسن الحمامة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997، ص66.

[4]– جوليا كريستيفا، علم النص، ص13.

تتجاوز الإطار الذي تضعه لنفسها في المقدمات النظرية، وعند التطبيق يلتبس الخطاب بالنص وبغيرها من المفاهيم.

كما يمكن التماس فارق جوهري بين الخطاب والنص استنادا إلى تعريف جوليا كريستيفا للنص بأنه" جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه فالنص إذن إنتاجية".[1]

فالنص لا يقف عند سطح اللغة ولهذا التعريف أهمية كبيرة" لأنه يطعن في كفاية النظر إلى هذا السطح ويبرز ما في النص من شبكات متعالقة فهي ترى أن النص أكثر من مجرد خطاب أو قول إذ أنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس انها ظاهرة عبر لغوية، بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة، لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها"[2].

وأما الخطاب فإنه لا يتعامل إلا بالمظهر اللغوي أو بالوحدات المشكلة من اللغة في النص دون أن يتجاوزها إلى ما وراءها، ولذا فإن رولان بارت يعلق على تعريف جوليا كريستيفا مشيرا إلى أن نظرية النص هي أولا نقد مباشر لأية لغة واصفة أي أنها مراجعة لعملية الخطاب"[3].

فالنص بذلك يقوم على الخطاب وما يقدمه تحليل الخطاب من وصف للمظهر النحوي للنص، وبالتالي فإننا يمكن أن نقول إن النص يسبق الخطاب ويليه، ولعل هذا ما يجعل الخطاب ملتبسا بالنص كونه حلقة تتوسط بين التشكيل من جهة والتحليل أو التأويل من جهة أخرى.

---

[1]– جوليا كريستيفا، علم النص، ص21.

[2]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 294.

[3]– المرجع نفسه، ص295.

كما نجد من لا يساوي بين الخطاب والنص إلا أنه عند التطبيق يجعلهما مفهوما واحدا، فصلاح فضل في كتابه" بلاغة الخطاب وعلم النص" يحدد النص بقوله: "فالنص وحدة معقدة من الخطاب، إذ لا يفهم منه مجرد الكتابة فحسب وإنما يفهم منه أيضا– كما رأينا– عملية انتاج الخطاب في عمل محدد، فالخطاب يتجمع فيه أولا عمل تركيبي يجعل من القصيدة أو القصة وحدة شاملة لا يمكن قصرها على مجرد محصلة جمع عدد من الجمل والفقرات، ثم يخضع هذا التركيب لعدد من القواعد التشكيلية، أي لعملية تشفير لا باعتباره لغة، وإنما باعتباره خطابا يؤدي إلى وجود ما نطلق عليه قصيدة أو قصة أو غيرها، هذه الشفرة هي الخاصة بالأجناس الأدبية أساسا، وهي التي تنظم الممارسة العملية للنص"[1].

إلا أن صلاح فضل في موضوع آخر من كتابه يوازي بين علم النص وتحليل الخطاب بقوله: " وقد استقر هذا المفهوم الحديث لعلم النص في عقد السبعينيات من هذا القرن، وهو يسمى بالفرنسية science de texte أو يطلق عليه بالإنجليزية analyis discourse ولا يخرج عن هذين الحدين في بقية اللغات الحية، مما يجعل ترجمته إلى "علم النص" في العربية أمرا مقبولا"[2]، ويبدو أن الغير مقبول يتمثل في المساواة بين علم النص وتحليل الخطاب، لأنها مساواة بين النص والخطاب، وهذا مالم يفعله صلاح فضل في المقدمات إذ ميز بينهما قائلا:" وهناك سمة أساسية أخرى للنص الأدبي شغلت الباحثين البنيويين ومن يهتم من التفكيكين بالأدب، وهي علاقة النص بالكتابة écuture وارتباطهما معا بمصطلح الخطاب discours بحيث يعد الخطاب من هذا المنظور حالة وسطية تقوم ما بين اللغة والكلام، وهذه السمة ذات أهمية خاصة في عمليات الفهم والتأويل، أي في عمليات إنتاج النصوص وإعادة إنتاجها مرة أخرى"[3].

---

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص310.

[2]– المرجع نفسه، ص319.

[3]– المرجع نفسه، ص319.

ولكن صلاح فضل في هذا الكتاب تحديدا وفي بقية كتبه التي تعد في باب الدراسات الأدبية، لأنها تتناول نصوصا من الشعر والنثر وبالدراسة يتعامل مع مفهومي "الخطاب" و"النص" كما لو كانا مفهوما واحدا بحيث يصلح عنده استبدال احدهما بالآخر.

أما فاضل ثامر فيقول في تعريف الخطاب إنه "رسالة من نوع ما، وهو في الوقت ذاته شبكة سياقية تكشف عن أدبية النص المعين"[1]، وكان حري به ألا يقول إن هذه الرسالة تكشف عن أدبية النص، وإنما بواسطتها يتم الكشف عن أدبيته فالخطاب أداة الأدبية ويظهر من هذا التعريف مساواته بين الأدبية والخطاب.

كما يضيف صلاح فضل إلى خصائص الخطاب الأدبي خصائص أخرى تخرج عن مجال اللغة، وذلك بقوله:" وحسبنا أن نشير منذ الآن إلى أن مجموعة الخصائص التي تنظم الخطاب الأدبي لا تنتمي كلها إلى مجال اللغة، فالقواعد الصرفية وشرط التأويل والدلالة والإشارة السيميولوجية، والمفاهيم التي تستخدم في معرفة العالم وفي العمل والوظائف النفعية قد اندمجت كلها بسلاسة في مهمة تحليل الخطاب الأدبي".[2]

وبهذا المفهوم لا يقتصر الخطاب الأدبي على ذاته وإنما هو منفتح على سياقات خارجية تساهم في إنتاجه.

يخالف عبد السلام المسدّي هذا الرأي، حيث يذهب إلى ما ذهب إليه منذ عياشي في اعتبار الخطاب الأدبي هو مرجع ذاته، كما يظهر في قوله" ما يميز الخطاب الأدبي هو انقطاع وظيفته المرجعية لأنه لا يرجعنا إلى شيء ولا يبلغنا أمرا خارجيا وإنما هو يبلغ ذاته، وذاته هي المرجع والمنقول في نفس الوقت"[3]، فالمسدي يؤكد على انقطاع مرجعية الخطاب الأدبي، فهو تحويل لذاته وليس لشيء خارجي وهذا الانقطاع هو ما يجعله متميزا.

---

[1] – فاضل ثامر، المرجع السابق، ص219.

[2] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 11.

[3]– عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، ص16.

كما يعني" التداوليون بالاقتراب من الخطاب كموضوع خارجي أو شيء يفترض وجود فاعل منتج له، وعلاقة حوارية مع مخاطب أو مرسل إليه، ومن الناحية الألسنية فإن فكرة الفاعل ضرورية لمتابعة تحولات اللغة في الخطاب".[1]

فليست اللغة نظاما وحيد الاتجاه ولا الفاعل المتكلم وحدة شخصية أو فردا معروفا في ممارسته القولية، بالرغم من أنهما يمثلان الأساس الضروري لنظرية اللغة والأسلوب.

ويحلل تودوروف ما يسميه التعريف البنيوي الوظيفي للشكل عند فونتا نييه الذي يرى "أن أشكال الخطاب إنما هي ملامحه، هيئاته وأوضاعه التي تلاحظ بشكل ما، وتنجح إلى حد ما في إحداث تأثيرها وعن طريقها يمكن للخطاب أن يبتعد قليلا أو كثيرا في تعبيره عن الأفكار والمشاعر عما كان من الممكن أن يتمثل في التعبير الشائع البسيط".[2]

يلاحظ أنه يستخدم منظورا بنيويا وظيفيا في هذا التحديد دون أن يسميه إصطلاحيا كذلك بطبيعة الأمر، كما يستخدم إلى جانب هذا الازدواج عنصرا بنيويا آخر يتمثل في هذين المفهومين: بسيط وشائع، وكلاهما لا يتضمن الآخر.

كما تبلور مفهوم النص عند "بارت" b.rarthes ابتداءا من السبعينيات وقد أخذنا عن صلاح فضل بعض خصائص هذا المفهوم المتجلية في النقاط الآتية:

1-"يعوض "بارت" العمل الأدبي المتمثل في شيء محدد بقوله النص الذي لا يتمتع إلا بوجود منهجي، ويشير إلى انتاج وبهذا لا يصبح النص مجربا كشيء يمكن تمييزه خارجيا ، وانما كإنتاج متقاطع يخترق عمل أو عدة أعمال أدبية.

2- النص قوة متحولة، تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم.

---

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 89.

[2]- المرجع نفسه، ص131.

3-يمارس النص التأجيل الدائم واختلاف الدلالة لا يحيل إلى نكرة معصومة بل إلى لعبة متنوعة".[1]

نستنتج أن النص من منظور رولان بارت ليس موضوعا، ولكنه عمل واستخدام وليس مجموعة من الإشارات المختلفة المحملة، ولكنه حجم من الآثار التي لا تكف عن الانتقال، ولعل هذا ما جعل صلاح فضل يركز على أهمية المنظور اللغوي في مقاربة مفهوم النص.

يقول أحد اللغويين المحدثين "إن مفهوم النص يعني أن التحليل يبدأ بالوحدة الكبرى التي ترسم حدودها عن طريق تعيين الفواصل والقواطع الملموسة لاتصالها".[2]
ومعنى أنه علينا أن نضحي بفكرة الطول في سبيل الوصول للنص المستدير المكتمل، الذي يحقق مقصديه وقد تستخدم في هذا المجال فكرة "انغلاقه على نفسه" كمحور لتحديد هذا الاكتمال. لا بمعنى عدم قبوله للتأويلات المختلفة، وإنما بمعنى اكتفائه بذاته، فيصبح النص هو "القول اللغوي المكتفي بذاته والمكتمل في دلالته".[3]

ومالا يحقق هذا الشرط- مهما كان طوله- لا يعتبر نصا، وعندئذ يصبح التحليل هو مقياس الوحدة الكبرى النصية التي تقوم كمنطلق لا محيد عنه لفحص ما تحتها من مستويات.

ويلاحظ الناقد صلاح فضل أن هذا التحديد ينطبق على المجال اللغوي البحت مما لا يكفي لتعريف النص الأدبي، حيث ينبغي أن تأخذ في الاعتبار ما يسمى بالبنية العليا وهي طبيعة الأعراف والشفرات النوعية للأدب.

---

[1]- صلاح فضل، المرجع السابق، ص213.

[2]- المرجع نفسه، ص214.

[3]- المرجع نفسه، ص214-215.

" فإذا كان النص اللغوي يتحدد بأنه انتاج مباشر لعمليات الكلام ، ويتشكل في جملة من الدوال والمداخلات، فإن اللغة الأدبية التي تتسع بوضع فردي خاص من الوجهة السيميولوجية تجعل النص الأدبي لا يمكن اعتباره مجرد ممارسة متعينة للنص اللغوي، بل هو رسالة ناجمة عن نظام محدد من المفاهيم والشفرات".[1]

ونستخلص من ذلك أن مصطلح النص عندما يستخدم في الأدب ينبغي أن يعتمد على عدد من المبادئ الهامة طبقا للسياق الذي يرد فيه، فإذا أطلقناه على التكوين الفني المحدد المُبَنْيَنْ وجعلناه قائما في مقابل مفهوم "العمل الأدبي" وتركنا لهذا الأخير الاعتداد بالأبعاد التاريخية والاجتماعية والثقافية للنص الأدبي، مما يجعله يتضمن علاقاته بالمبدع الذي ينشئه والجمهور الذي يتلقاه.

وهناك سمة أساسية أخرى للنص الأدبي شغلت الباحثين البنيويين ومن يهتم من التفكيكيين بالأدب" وهي علاقة النص بالكتابة ecriture وارتباطهما معا بمصطلح الخطاب discourse بحيث يعد الخطاب من هذا المنظور حالة وسطية تقوم ما بين اللغة والكلام"[2].

وهذه السمة ذات أهمية خاصة في عمليات الفهم والتأويل، أي في عمليات إنتاج النصوص وإعادة إنتاجها مرة أخرى، وفي هذا الصدد يقول:" بول ريكور" "لنطلق كلمة نص على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة، إن هذا التثبيت أمر مؤسس للنص ذاته ومقوم له"[3].

" فالنص وحدة معقدة من الخطاب إذ لا يفهم منه مجرد الكتابة فحسب، وإنما يفهم منه أيضا عملية إنتاج الخطاب في عمل محدد، فالخطاب يتجمع فيه أولا عمل تركيبي

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 215.

[2]– المرجع نفسه، ص218.

[3]– المرجع نفسه، ص219.

يجعل من القصيدة أو القصة وحدة شاملة لا يمكن قصرها على مجرد محصلة جمع عدد من الجمل والفقرات"[1].

ومن هنا يتضح للناقد أن هذا التركيب يخضع لعدد من القواعد الشكلية أي لعملية تشفير، لا باعتبار لغة، وإنما باعتباره خطابا يؤدي إلى وجود ما نطق عليه قصيدة أو قصة أو غيرها.

كما تتمثل مهمة علم النص في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العربية لأشكال التواصل واستخدام اللغة، كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة، يقول "فان ديجيك" مؤسس علم النص" أن البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص، إذ نحن أخذنا في الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة"[2].

لكننا نؤثر مصطلح علم النص لأن كلمة البلاغة ترتبط حاليا بأشكال أسلوبية خاصة، وإذا كانت البلاغة قد أخذت تثير الاهتمام مجددا في الأوساط اللغوية والأدبية فإن علم النص هو الذي يقدم الإطار العام لتلك البحوث.

وجملة الأمر في علم النص أنه إذا أردنا أن نقدم تلخيصا شاملا يصلح خريطة لأهم الأبنية النصية التي توضع بعد ذلك في سياقها التواصلي المتفاعل فإن علينا أن نميز أولا بين أنماط النصوص المختلفة، وذلك لما لها من صلة وثيقة بالمقاييس المعرفية والتواصلية والاجتماعية والثقافية.

وربما لوحظ أنه بقدر ما يبتعد علم النص عن الوصف اللغوي فإن خطواته المنهجية وملاحظاته تصبح أكثر إبهاما وأقل تنظيما فنحن نعرف مثلا عن دلالة المتتاليات النصية أكثر مما نعرف عن تداوليتها، لكن الباحثين في علم النص يرون من

---

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص223.

[2]– المرجع نفسه، ص234.

الوجهة المنهجية أن الأبنية المهمة تجريبيا ونظريا هي تلك الأبنية النصية واللغوية التي تربطها علاقة وثيقة بخواص السياق المعرفية والاجتماعية والثقافية أي الجانب التداولي.

**ثالثا : المفاهيم المرافقة للمصطلحين:**

**1-النص والسياق:**

إن دافع الناس من الكلام لم يكن اعتباطا ولا لمجرد الكلام فقط، إنما كان الهدف منه إبلاغ شيء ما، وتحقيق التواصل من خلاله، فعملية التواصل اللغوي تقوم بين طرفين، أولهما المتكلم الذي يرسل الرسالة، وثانيهما المتلقي الذي يقوم بعملية تحليل وتفسير الرسالة انطلاقا من السياق الذي وردت فيه.

إن عملية البحث عن تماسك النص تلزمنا بالضرورة العودة إلى عناصر لغوية وأخرى غير لغوية، ممثلة في السياق بنوعية، والغرض من التركيز على هذين العنصرين يكمن في "التطلع الى فهم أدق للاشتراك الفعلي لعمليات تقع خارج اللغة الواقعية التي استلزمتها غايات تفسيرية لا محدودة تتجاوز الأطر الظاهرة والنقلة السطحية، وترنو الى استمرارية التفاعل بين النص ومتلقية في حركة تحافظ على دينامية النص من جهة وعلى تغدد القراءة التي تنتج نصوص خلاقة في الربط والتلقي اللغوي والجمالي من جهة أخرى"[1].

وقبل أن نتطرق الى وظيفة السياق ودوره في تحقيق التماسك وجب علينا بداية أن نتعرف على مفهوم مصطلح السياق:

[1]- سعيد حسن البحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص13.

لم تكن اللسانيات النصية وحدها من اهتم بالسياق بل كان محور اهتمام اللسانيات بصفة عامة:" اذ يعني مصطلح السياق التركيب أو السياق الذي ترضيه الكلمة، ويسهم في تحديد المعنى المتصور لها"[1].

" كما ينقسم السياق الى قسمين هما: السياق اللغوي والسياق غير اللغوي الذي يعني كل ما يحيل على خارج النص أو ما حوله من مؤثرات بيئية (تاريخية، سياسية، اقتصادية ، اجتماعية، نفسية...) من الممكن ان تنعكس على النص فيصطبغ ببعض ألوانها لذلك يسعى النقد التقليدي الى أن يتخذ من السياق معولا مرجعيا يتكئ عليه في سبيل الولوج الى أغوار النص وإضاءة جوانبه الداخلية"[2].

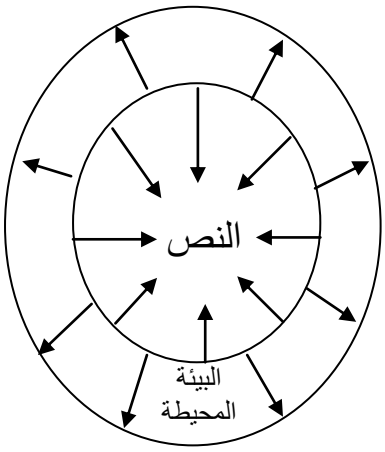


**المصدر : يوسف أوغليسي، الخطاب النقدي عبد الملك مرتاض بحث في المنهج واشكالياته، ص 45 .**

لذا فالنص تتجاذبه علاقتان داخلية كي يتماسك ومن ثم فهو واقع كذلك بين التأثير والتأثر من قبل البيئة المحيطة، وهذا ما يؤكد لنا العلامة التلازمية بين النص والسياق باعتباره يؤثر فيه وبفضله نتمكن من القبض على المعنى النصي.

فإنتاج النص يكون في إطار مجموعة من الظروف المحيطة به وتحليله وتفسيره يتطلب معرفة الجوانب المتوفرة فيه لحظة وصفه، ولا يكون الفهم الحقيقي لرموزه وإشاراته،

---

[1]– سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان للنشر، ط1، بيروت لبنان،1997، ص28.

[2]– يوسف أوغليسي، الخطاب النقدي عبد الملك مرتاض بحث في المنهج واشكالياته، اصدارات رابطة ابداع الثقافة، الجزائر، 2002، ص44-45.

إلا بالرجوع والعودة إلى معرفة السياق الذي ورد فيه، ويكون بذلك قابل للتأويل والتحليل وفك شفراته.

كما أن للسياق دورا بارزا في تحديد المعنى وكذا في إنتاج النص، إذ أنه "يمكن استخدامه ليضع تنبؤات حول بنية النص"[1]، فليس من السهل تحديد مجال السياق فعلى القارئ المحلل محاولة الإلمام بكل الظروف المحيطة به وبالبيئة الاجتماعية، واخذها بعين الاعتبار وكذا انصرافه الى "فحص العلاقة بين المتكلم والخطاب في مقام استعمال خاص بدرجة أكبر من تتبعه للعلاقة الممكنة بين جملة وأخرى"[2].

والملفت للانتباه هنا تظافر المصطلحين المقام والسياق فهما مرتبطان بتحديد المعنى، والمقام يمثل الجانب الاجتماعي من السياق وبذلك يكون السياق عنصرا مشاركا في إنتاج النص.

فقد لا يتمكن القارئ من تأويل بعض العناصر إلا بالرجوع إلى تحديد سياقها ومعرفة الكاتب وكذا الإطار الزماني والمكاني لحدوث الفعل فمثلا التعبيرات الإشارية تذكر غالبا في النص مثل: هذا، ذاك، تلك، والضمائر: أنا، أنت...إلخ كلها تتطلب من المحلل أن يكون على دراية بالظروف المحيطة التي ورد فيها النص، وما يقصده المنتج إلا أن هناك من يرى أن النص يدرس لذاته ومن أجل ذاته فلا عبرة بالنظر قائله، ولا بالظروف التي أنتج فيها، بل ينظر إليه على أنه وحدة لغوية يتعامل معها القارئ الكفء بصورة مجردة من جميع الاعتبارات الخارجية، فهناك آراء مختلفة في كيفية دراسة النصوص.

---

[1]– محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص50.

[2]– ج. ب. براون ويول، تحليل الخطاب، تر: مصطفى لطفي الزليطي، ومنير التريكي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1997، ص36.

وبناء عليه" يمكن اعتبار السياق شفرة يستعين بها المحلل القارئ في تأويل النص: لأن السياق يستطيع أن يوضح لنا النقطة التي تم التعبير عنها"[1]، فدوره فعال في تحديد المعنى.

فالسياق له دور في تحديد معنى الوحدات اللغوية ومعنى الكلمة في حد ذاتها، ذلك أن للكلمة دلالات متعددة بتنوع استعمالها، إلا أن دور السياق يظهر في هذه المواضع، باستحضار الظروف المحيطة أثناء الاستعمال، وكذا المجتمع باعتباره المنتج للنص والمتلقي له، كل هذا يحصر المعنى الحقيقي للكلمة الواردة في سياقها التداولي، فقد تحمل كلمة دلالتين مختلفتين أو لنقل عبارة تحمل تأويلين مختلفين، هذا راجع للسياق الذي وضعت فيه، وبذلك لا يمكن الاستغناء عن السياق في تحديد المعنى والتأويل والتحليل.

"إن الغاية من التحليل تكمن أساسا في محاولة التحكم في معنى النص، من خلال افتراض سياقات أصلية أولية مخبأة في ثناياه، وبإمكان القارئ التعرف عليها وتحديدها استنادا إلى خطة تقوم على سلسلة من التبسيطات المتتالية التي تنصب على البنية العامة للواقعة من أجل الوصول إلى ما يشكل نواة مركزية سرب إليها السر الدلالي في غفلة من المؤلف أو بتواطئ منه"[2].

ويمكن للمرء من جهة أخرى أن يخطط جملا لا يمكن أبدا أن ترد دون تكلف، إما لكونها أطول أو أعقد أو أكثر تتابعا أو أكثر ابتذالا مما يتم قبوله، أو لكونها فارغة من المعنى أو غير ذات أثر عملي في الأداء، فالقواعد التجريدية لتكوين الجملة لا يمكن التقنين لطولها أو عدد مكملاتها بحيث يتوقف بعده تتابع العناصر لتصبح الجملة جملة[3].

[1]– محمد خطابي، لسانيات النص، ص70.

[2]– سعيد بنكراد، سياق الجملة وسياق النص(الفهم والتأويل)، ص11.

[3]– سعيد بنكراد، سياق الجملة وسياق النص(الفهم والتأويل)، ص12.

الدراسات المنهجية للنصوص لا يمكن إلا أن تكون مشتركة بين عدة ميادين عملية ذلك أن النصوص لا تمتلك فقط بنيات نحوية على مستوى الأصوات والمعجم، والتركيب والدلالة، وإنما تمتلك أيضا بنيات أخرى مثل البنى الفوقية، الخطاطات، والبنى الأسلوبية، والبلاغية التي هي مسؤولة عن عدة مستويات من النص.

لذا فإن تحليل النصوص يتطلب مقاربة متعددة الأبعاد تفرض الربط بين مختلف المستويات، لأن المقصود ليس هو فقط فهم النص وتحليله لذاته، إنما قبل كل شيء فهم وتحليل مختلف وظائف النص في هذه السياقات.

ولعل هذه الأهمية للعلاقة بين النص والسياق هي التي دفعت هاليدي ورقية حسن إلى جعل عنوان كتاب لهما" اللغة، السياق والنص" الذي أكدا فيه أن الفكرة الأساسية تهدف إلى إجلاء العلاقة بين النص والسياق، هذه العلاقة مؤكدة" فكل من النص والسياق يمكن تفسيره بالرجوع إلى الآخر"[1]. وهو ما يؤكد عليه جون لاينز أيضا، إذ يرى أن كلا منهما متمم للآخر، وتعتبر النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بوساطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون والكتاب في مواقف معينة.[2]

ومن هنا يتضح أن فهم النص وتفسيره لا يتأتى لنا إلا بالرجوع الى السياق باعتباره يلعب دورا كبيرا في جلاء معنى النص وإبرازه.

**2-الخطاب والشعرية والأسلوبية:**

تتلاقى هذه المفاهيم الثلاثة في كونها تتعامل مع النص الأدبي، في الوقت الذي تصلح فيه الأسلوبية للتعامل مع حقول معرفية مختلفة غير الأدب، وكذلك الخطاب فإنه

[1]- يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص33.

[2]-جون لاينر، اللغة والمعنى والسياق، تر: د عباس صادة لوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة ،آفاق عربية، العراق، ط1، 1987، ص215.

موضوع لمعارف عديدة أيضا، وأما الشعرية فإنها تتعامل مع الأدب وحسب ، " وهي لا تسعى إلى تسمية المعنى، بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل، ولكنها بخلاف هذه العلوم التي هي علم النفس وعلم الاجتماع...الخ، تبحث عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته، فالشعرية إذن مقاربة للأدب "مجردة" و"باطنية" في الآن نفسه"[1].

وتتفق الأسلوبية والشعرية في البحث عن قانون للأدب ذلك أن" الأسلوب" من أهم المقولات التي توجد بين علمي اللغة والأدب، وأن دراسته ينبغي أن تتم في المنطقة المشتركة بينهما"[2]. وبالإضافة إلى ذلك فإن دراسة الأسلوب هي التي فجرت الشعرية الحديثة، "فوجهت الأسلوبية هذه إنما تكمن في تساؤل عملي ذي بعد تأسيسي يقوم مقام الفرضية الكلية: ما الذي يجعل الخطاب الأدبي الفني مزدوج الوظيفة والغاية، يؤدي ما يؤديه الكلام عادة ويقوم بإبلاغ الرسالة الدلالية، ويسلط مع ذلك على لمتقبل تأثيرا ضاغطا به ينفعل للرسالة المبلغة انفعالا ما؟"[3].

إذن فالتفكير الأسلوبي يتجه اتجاها علميا تحليليا تجريديا، ويهدف إلى إدراك البصمات الإنسانية التي تميزه عن سواه، وتميز عمله بالتالي عن أعمال الآخرين، ومن هنا ندرك أن (الشاعرية) تحتوي (الأسلوبية) وتتجاوزها، فالأسلوبية هي إحدى مجالات الشاعرية، والأسلوبية تقوم على توضيف الخصائص القولية في النص وهي تتناول ما هو في لغة النص فقط، وهذا لا يقوم كأساس واف لإدراك أبعاد التجربة الأدبية ومن ثم تفسيرها.

وقد ذكرنا أن الأسلوبية كانت وراء نشوء الشعرية، إلا أنها( الشعرية) أصبحت علما يحتوي الأسلوبية ويتجاوزه:" فتحليل لغة النص، وقضايا القراءة والكفاية الأدبية

[1] – تزفيتان تودوروف، الشعرية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1987.ص23.

[2] – صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1985، ص73.

[3] – عبد السلام المسدي، الاسلوب والاسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1972، ص36.

قضايا لا تعالجها الأسلوبية، وإنما تعالجها وتتعامل معها الشعرية، والأسلوبية تتعامل مع ما في النص وحسب أي أنها تهتم باللغة ذاتها، أما الشعرية فإنها تهتم فيما وراء اللغة، أو بلغة اللغة، لأنها تبحث عن القوانين التي تجعل من رسالة لفظية ما عملا أدبيا"[1].

وهذا يستدعي النظر فيها وراء اللغة، وليس الوقوف عند حد الاهتمام باللغة وحدها، ولعل مدخل الشعرية في ذلك هو الاهتمام بعلاقة النص بغيره من النصوص وهو ما سمته جوليا كريستيفا التناص، أو ما سماه جيرار جنيت التعالي النصي حين يقول:" لا يهمني النص حاليا إلا من حيث النص وتعاليه النصي أي أن أعرف كل ما يجعله في علاقة خفية أم جلية مع غيره من النصوص"[2].

وبالتالي فإنه يمكننا القول أن الأسلوبية تتعامل مع الأدب بما هو موجود على الصفحات في الأثر "وأما الشعرية فإنها تتعامل مع الادب بما هو موجود للتواصل إلى ما هو غير موجود أو لتصل الى ما سماه تودوروف الادب الممكن"[3]. والمعنى الممكن لتلقي بعد ذلك بعلم الدلالة في سبيل تأويل المعنى وفتح آفاق دلالاته،" وإذ تعنى الشعرية POETIQUE باستنباط نظم الخطاب وقواعده وأبنيته يعنى "علم الدلالة" باستنطاق وتأويل شفرات النص"[4].

وأما عن علاقة الخطاب بالشعرية فإن الشعرية تقوم على الخطاب، ولا يمكن استخلاص شعرية النص مالم يوصف خطابه ذلك أن" موضوع اللسانيات اللغة نفسها، وموضوع الشعرية الخطاب، على الرغم من أن كليهما غالبا ما يعتمد على المفاهيم نفسها، وكل منهما يدرج ضمن إطار السيموطيقا حيث يكون موضوع الأنظمة الدالة

---

[1]– جيرار جنيت، مدخل لجامع النص، ت: عبد الرحمان أيوب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص90.

[2]– المرجع نفسه، ص91.

[3]– تزفيتان تودوروف، الشعرية، ص23.

[4] – عبد الله ابراهيم، الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، ص116.

كلها"[1]، فالخطاب هو "مظهر نحوي مركب من وحدات لغوية، ملفوظة أو مكتوبة، ويخضع لقواعد في تشكله وفي تكوينه الداخلي، قابلة للتنميط والتعيين بما يجعلها خاضعا لشروط الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه، سرديا كان أم شعريا"[2].

وتقوم الشعرية على الخطاب لتوجه هذه الوحدات النحوية وجهة أدبية أو- بتعبير أدق – تبحث عما يجعل هذه الوحدات عناصر أدبية سواء كان هذا في الشعر أم في النثر.

فالخطاب هو البنى المجردة في النص الأدبي، ودراسة هذه البنى وتحديد أدبيتها هو دور الشعرية إذ " ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي"[3].

ولعل العلاقة التي يصطنعها الخطاب مع الأسلوبية قريبة من العلاقة السالفة بين الخطاب والشعرية، ذلك أن " الأسلوبية موقف من الخطاب ولغته، ويتجلى هذا الموقف في عمل اللغة نفسه"[4]، فالأسلوب نظام لغوي يتأسس على الخطاب ليقيم شكله الخاص ذلك أن الأسلوبية علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب.

وفي سبيل تحديد العلاقة أكثر بين الخطاب والأسلوب، يتحدث منذر عياشي عن الخصائص التي ينبغي أن يتوفر عليها الخطاب الأدبي وهي:

أ- أن يكون هو مرجع ذاته، فلا تفسر اللغة المستخدمة فيه ولا تؤول إلا به.

ب- أن يفتح للتمثيل بابا بحيث يصبح هو فيه مكان الفعل المتبادل بين اللغة فاعلة في الخيال وبين الخيال فاعلا في اللغة.

---

[1]- حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ص72.

[2]- عبد الله ابراهيم، الثقافة العربية الحديثة والمرجعيات المستعارة، ص116.

[3]-تزفيطان تودوروف، الشعرية، ص23.

[4]- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص145.

ج- وأن يكون الأسلوب فيه ليس في موضوعه فقط، وإنما أداته التي يتميز بها عن غيره أي أداته التي يمتلك بها فرادته وتتحقق بها أدبيته"[1].

إن الخطاب الأدبي هو أداة للأسلوب وموضوع إذ "إن توفر الخطاب على هذه الخصائص لأمر يجعل من النص الأدبي حدثا، ويجعل من هذا الحدث شكلا خاصا من أشكال اللغة وإنتاج المعنى أي أسلوبا يقول الخطاب ويحيله إلى جنسه الأدبي"[2].

ويمكن الاستخلاص من هذا كله أن كلا من الأسلوبية والشعرية لا تقوم إلا بالخطاب، وإنما لكل منهما طريقة وهدف فالخطاب هو القوانين النحوية والبنى المجردة في النص، والشعرية تبحث عما يصنع فرادة الحدث الأدبي ويجعل منه نصا أدبيا، فالشعرية تنطلق من الخطاب إلى النص، وأما الأسلوبية فإنها تقوم بالخطاب وعلى الخطاب لتبقى فيه، فتحدده وتظهر ميزاته وتشرح قوانينه.

فالخطاب هو كل البنى التركيبية الموجودة في النص، وتأتي الأسلوبية لتقوم بتصنيفها وتبويبها، وتحدد ما يشكل منها سمات أسلوبية ثم تأتي الشعرية تالية لها لتحدد ما يصلح منها ليصنع فرادة الحدث الأدبي، ولابد بعد ذلك أن يأتي علم الدلالة والنصية لتأويل الخصائص الأدبية وتحليلها وفتحها أمام القراءات المتعددة والممكنة للنص الأدبي.

وهناك من يضع الرسالة مقابل الخطاب نظرا للمعنى المشترك بينهما" في عملية التواصل اللساني مقطع كلامي يجمل معلومات يريد المرسل( أو المتكلم أو الكاتب) أن

[1]- المرجع السابق، ص150.

[2]- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية ، ص145.

ينقلها إلى المرسل إليه(السامع أو القارئ) ويفهمها الآخر بناء على نظام لغوي مشترك بينهما".[1]

وبالإضافة إلى هذه المفاهيم فإن بول ريكورP.RECOURD يستخدم مفهوم الخطاب عوضا عن الكلام ويستبدل ثنائية دي سوسيرF.DESOUSSUR اللسان /الكلام، بثنائية اللسان/ الخطاب، "وريكور من ناحيته يضع الخطاب بدلا من الكلام، ليس فقط ليؤكد على خصوصية الخطاب، بل ليفرق بين علم الدلالة والسيمياء، بأن السيمياء في رأيه تدرس العلامة، بينما علم الدلالة يدرس الخطاب أو الجملة"[2]، وهناك الخطاب أيضا مقابلا لمفهوم اللغة "يمكن إضافة مفهوم للخطاب بمقابلته بمفهوم " لغة" كمجموعة متناهية من العناصر المستقرة نسبيا،فيكون الخطاب عندئذ مجالا للإبداع تتشكل فيه وبطريقة غير ملحوظة سياقات تعطي قيما جديدة للغة"[3].

**3-الخطاب والقول:**

يشيع في النقد العربي الحديث استخدام مفهوم القول مقابلا لمفهوم الخطاب، فهذه يمنى العيد تقول:" نحن اليوم أيضا نقول: قول شعري وحسب البعض خطاب شعري، مقابل قولنا: قول أو خطاب سياسي، وقول أو خطاب سردي، وقول أو خطاب تشريعي ...الخ مشيرين بذلك إلى جذر مشترك هو القول أو الخطاب، مصنفين إلى هذا الجذر المشترك صفة الشعري أو السياسي أو غير ذلك مما يدل على تخصيص للقول أو

[1] – د إميل يعقوب، بسام بركة، مي شيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987، ص215.

[2] – بول ريكور، نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ت: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2003، ص11 .

[3]– ابراهيم صحراوي: الخطاب الأدبي لدى جرجي زيدان، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 1993، ص4.

للخطاب، كأن للقول وجودا عاما أو سديميا؛ أي وجودا على مستوى الحاجة لإنسان يعيش في زمان تاريخي، وفي مكان اجتماعي، ومن على هذا المستوى يتخصص القول في أجناس لها حقولها الثقافية المتميزة"[1]. لكنها ما تلبث أن تعمد إلى تمييز القول عن الكلام والخطاب والنص، وعليه فإذا كان الكلام هو ماله صفة الفوضوي والمتوحش، وإذا كان الخطاب هو التوجه إلى آخر برسالة فإن القول هو وربما إضافة إلى هذا كله، نبرة كتلة نطقية لها طابع الفوضى وحرارة النفس، ورغبة النطق بشيء بقول ليس هو تماما الجملة، ولا هو تماما النص، بل هو فعل يريد أن يقول"[2].

يبدو أن اشتغالها على الشعر هو ما يدفعها إلى مثل هذا التمييز، لتنتهي غلى تعريف القول بأنه"... فاعلية يمارسها متكلم يعيش في مكان اجتماعي، وفي زمان تاريخي وهو من حيث ذلك ذو طابع تناقضي، هذا الطابع هو نفسه طابع العلاقات الاجتماعية بين الناس في المجتمع"[3].

ومن هنا يمكن القول أن تعريف يمنى العيد ليس لسانيا بمقدار ما هو تعريف بلاغي، إذ لا تستند إلى المفهوم الحديث أو الخطاب إلا على مستوى العرض، ولكنها حين تقترح تحديدا فإنه يبني على معرفتها اللغوية العامة وحسب.

لقد ميز النقد العربي القديم بين النطق والتلفظ من ناحية والقول من ناحية أخرى، وذلك حين قال الجرجاني، "(إذ قيل لك) إمرؤ القيس قائل هذا الشعر من أين جعلته قائلا له...وذلك ما لا سبيل إليه"[4]. فالتلفظ هنا ليس القول، وإلا لكان راوي الشعر قائلا له وليس الأمر كذلك، " أما القول فهو ينطبق على منشئ الكلام دون روايه أو ناقله، لذلك

---

[1]– يمنى العيد، في القول الشعري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1987، ص10.

[2]–المرجع نفسه، ص 11.

[3]– يمنى العيد، المرجع نفسه، ص 12.

[4]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: عبد المنعم الخفاجي، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط1، 1969، ص277.

يمكن أن نقول كما قالوا :"كل قول لفظ" لكنه لا ينعكس إذ ليس كل لفظ قولا فالقول يقتضي بداية النشأة وبه يكتسب الكلام اختصاصه بقائله"[1].

فاللفظ بذلك يحتوي القول، والقول يحتوي الجملة، والجملة تحتوي الكلام، فعلاقة القول والجملة والكلام هي علاقة احتواء الجنس للنوع، ويمثلها محمد الشاوش بالشكل التالي:

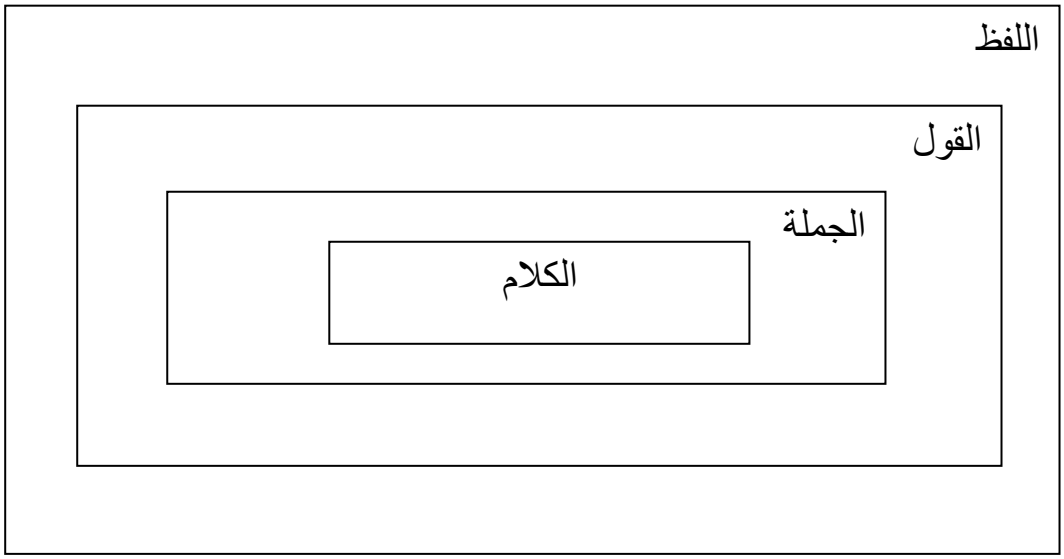


المصدر: محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية العربية ، ص 618.

كما يميز العرب الكلام عن القول يقول ابن جني: "وقد ثبت بما شرحناه واوضحناه أن الكلام إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن

[1]– محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، مج2، المؤسسة العربية للتوزيع تونس، ط1، 2001، ص617.

غيرها والتي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها وثبت أن القول عندنا أوسع من الكلام تصرفا، وأنه قد يقع على الجزء الواحد وعلى الجملة، وعلى ما هو اعتقاد ورأي لا لفظ وجرس"[1].

إذن فالعلاقة بين القول والكلام ليست علاقة ترادف، وإنما علاقة العام وهو الكلام بالخاص وهو القول، وهذا تمييز يسبق به ابن جني علم اللغة الحديث في تحديد الكلام وعلاقته بالقول ويسبق ثنائية دي سوسير المشهورة: اللغة/الكلام، وما أنبنى عليها من ثنائيات أخرى تحدد علاقة الكلام بالخطاب وبالنص.

" إن اعتناء السلف بالكلام في منظومة اللسان المكونة من اللغة والأداء، ليعد خطوة تجاوزوا بها، على الرغم من وجودهم زمنا قبل لسانيات سوسير الذي أهمل الكلام بوصفه ظاهرة فردية، ألا وإن الاهتمام بهذا الركن في اللسانيات الغربية، ليعد ظاهرة جديدة نسبيا فلقد دخلت ميدان الدراسات اللسانية حديثا مع اللسانيين الذين خلفوا سوسير، واتجهوا برؤيتهم نحو النص"[2].

فالقول عند العرب لا يحتاج المرد إلى نطقه كالكلام، وإذا كان الكلام لا يقتضي ترتيبا وتناسبا وتناسقا فالقول على عكس ذلك.

وفي كتب صلاح فضل المتقدمة نسبيا وعلى وجه الخصوص في كتابه "نظرية البنائية في النقد الأدبي 1987"، نجد مصطلح القول عوضا عن الخطاب والنص وذلك عند حديثه عن القصة/الخطاب مستبدلا هذه الثنائية بثنائية الحكاية/القول يقول: "يتم التمييز في العمل القصصي بين مظهرين مختلفين: الأول الحكاية وهي الأحداث المروية والشخصيات المتحركة وغير هذا من العناصر التي تحيل الى تجربة المتلقي وتعد محاكاة

[1]– ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1952، ص32.

[2]– منذر عياشي، اللسانيات والدلالة/الكلمة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1996، ص14.

للواقع فهي إذ لا تنتمي الى الحياة وإنما إلى العالم الخيالي الذي يخلقه الفنان وإن كانت تستشير الواقع... أما المظهر الثاني للقصة فهو القول، أي هذه الكلمات الواقعية الموجهة من الكاتب إلى القارئ، أي المبسطة في كتاب والتي تشمل جانب التنظيم والصياغة، والدراسة البنائية تبدأ دائما من هذا الجانب التجريدي عندما تعتبر أن القصة ليست سوى هذا القول".[1]

ويحدد صلاح فضل العلاقة بين القول والحكاية وهي:

1-"العلاقة بين زمن الحكاية وزمن القول.

2-مظاهر القصة أو الطريقة التي يتصور بها الراوي الحكاية.

3- أحوال القصة التي تتوقف على نوعية القول الذي يستخدمه الراوي كي يطلعنا على الحكاية"[2].

وبعد تحديده هذه العناصر العلاقية بين القول والحكاية يأتي صلاح فضل على مظاهر مستوى القول وهي:"

1-المظهر الفعلي اللغوي يمثل في الجملة المحددة التي يتكون منها النص، وهو رؤية العمل الأدبي أو وجهة نظره.

2-المظهر النحوي ويتصل بعلاقات أجزاء العمل فيما بينها، أو تركيب العمل الأدبي"[3].

وهنا يتعرض لعلاقات القول بالحكاية وهي منطقية وزمانية ومكانية وكان ينبغي على صلاح فضل التوقف عند هذا الحد في تحديد مظاهر القول إلا أنه يضيف مظهرا

---

[1]- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط1، 1978، ص315.316.

[2]- المرجع نفسه، ص316.

[3]- المرجع نفسه، ص 317.

ثالثا يسميه المظهر الدلالي أو موضوعات الأعمال الأدبية، وهو ما يخرج به وبناء من حدود مظاهر القول والخطاب.

إذا ما علاقة القول بالخطاب؟ وهل هما مترادفان؟ إن القول لا يستوفي عناصر الرسالة اللغوية كما عمل على تحديدها دي سوسير وجاكبسون بعده، ويمكن أن يكون القول متوجها من مرسل حاملا لرسالة دون تحديد الطرف الثالث الأكثر أهمية في علم اللغة الحديث وفي الدراس النقدي المعاصر، أما الخطاب فإنه يقتضي هذا الطرف ويستوجب وجوده وإذا كان الخطاب لا يتم فهمه وتحصيله إلا بقارئ، فإن القول يحمل رسالته بذاته أولا، بقائله ثانيا، وبالتالي فإن الخطاب أوسع دلالة من القول، وليست العلاقة هنا علاقة ترادف وليست علاقة احتواء، بل يمكن القول إنها علاقة امتداد، فالقول يمتد إلى الخطاب وليس العكس، وأما تمام الدلالة والمعنى فلا يكون إلا بالنص.

# خاتمة

**خاتمة :**

في ختام هذا البحث والذي لا يمثل إلا حلقة في سلسلة البحوث العلمية التي تهتم بدراسة وتحديد المصطلحين الخطاب والنص من خلال كتاب بلاغة الخطاب وعلم النص للناقد صلاح فضل حيث خرجت هذه الدراسة بجملة من النتائج تمثلت فيما يلي:

- أن الأساس لمفهوم الخطاب في النقد العربي القديم هو أساس أصولي وقد شكل حلقة متكاملة الأبعاد لحدود المفهوم وشروطه، إلا أنها ظلت حبيسة إطارها القديم، دون بعث وإحياء جديدين من قبل النقاد العرب المحدثين.
- لم ينشئ النقاد العرب المحدثون مفهوما للخطاب مبنيا على تراثهم وإنما اعتمدوا على الدراسات الغربية القديمة والحديثة وجلبوا أدواتها ومناهجها .
- أن تحديد مدى إنسجام النص لا يتم بآليات وأدوات نهائية ثابتة فهي ليست قوانين مطلقة يتبعها كل باحث أثناء دراسته ودليل ذلك تنوعها عند الباحثين والاختلاف في تصنيفها .
- أن الخطاب هو السياق الذي يتشكل فيه النص، ولا مرجع للنص سوى الخطاب.
- أن الخطاب من المفاهيم الشائكة التي يخلها الخلط والالتباس حتى في مصادرها الأصلية الغربية.
- أن مكان مفهوم الخطاب الأصلي في داخل النص وليس خارجه .
- الخطاب مرحلة من مراحل الوصول إلى النص، والنص وحدة معقدة من الخطاب.
- الشعرية تقوم على الخطاب، فموضوع اللسانيات اللغة نفسها، وموضوع الشعرية الخطاب .
- الأسلوبية موقف من الخطاب ولغته، لأن الأسلوبية علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب.
- الخطاب الأدبي هو أداة للأسلوب وموضوعه.

- أن كلا من الأسلوبية والشعرية لا تقومان إلا بالخطاب.
- الخطاب أوسع دلالة من القول، وأن العلاقة بينهما هي علاقة امتداد وليست ترادف، فالقول يمتد إلى الخطاب وليس العكس.
- أن فهم النص وتفسيره لا يتأتى إلا بالرجوع إلى السياق باعتباره يلعب دورا كبيرا في جلاء معنى النص وإبرازه.
- وجود علاقة تلازمية بين النص والسياق.
- لقد حاولت الدراسة بناءا على كل ما تقدم أن تبين حدود مفهوم الخطاب والنص، وأن تزيل اللبس والخلط الذي اعتراهما لجملة من الأسباب التي قدمتها الدراسة في المتن.

# الملحق

**نبذة عن حياة الناقد صلاح فضل:**

ولد الدكتور صلاح فضل(محمد صلاح الدين) بقرية شباس الشهداء بوسط الدلتا في 21 مارس عام 1938م، إجتاز المراحل التعليمية الأولى الابتدائية والثانوية بالمعاهد الأزهرية، حصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام 1962م عمل معيدا بالكلية منذ تخرجه عام 1965م، كما حصل على دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة مدريد المركزية بإسبانيا عام 1972م وعمل في أثناء بعثته مدرسا للأدب العربي والترجمة بكلية الفلسفة والآداب بجامعة مدريد منذ عام 1968م حتى عام 1972م، تعاقد خلال الفترة نفسها مع المجلس الأعلى للبحث العلمي في إسبانيا للمساهمة في إحياء تراث ابن رشد الفلسفي ونشره.

وعمل أستاذا زائرا بكلية المكسيك للدراسات العليا منذ عام 1974م حتى عام 1977م وأنشأ خلال وجوده بالمكسيك قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة المكسيك المستقلة عام 1975م.

انتقل للعمل أستاذا للنقد الأدبي المقارن بكلية الآداب بجامعة عين شمس منذ عام 1979م حتى الآن إنتدب مستشارا ثقافيا ومديرا للمعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد بإسبانيا منذ عام 1985م، رأس في هذه الأثناء تحرير مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد واختير أستاذا شرفيا للدراسات العليا بجامعة مدريد المستقلة.

انتدب بعد عودته إلى مصر عميدا للمعهد العالي للنقد الفني بأكاديمية الفنون بمصر منذ عام 1985م حتى عام 1988.

وعمل أستاذا زائرا بجامعات صنعاء باليمن والبحرين حتى عام 1994م، كما عمل أستاذا للنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية الآداب بجامعة عين شمس ورئيسا لقسم اللغة العربية وهو الآن أستاذ متفرغ فيها.

**- نشاطه الأكاديمي والثقافي في مصر وخارجها:**

- شارك في اللجنة التنفيذية العليا لمؤتمر المستشرقين الذين عقد في المكسيك 1975م.

شارك في تأسيس مجلة "فصول" للنقد الأدبي، وعمل نائبا لرئيس تحريرها على فترات متفاوتة منذ 1980م حتى 1990م.

- اختير عضوا شرفيا بالجمعية الاكاديمية التاريخية الاسبانية.

- شارك في تأسيس الجمعية المصرية للنقد الادبي وعمل رئيسا لها منذ 1989.

- عضو المجلس الأعلى للثقافة والاعلام بالمجالس القومية المتخصصة، وعضو شعب الثقافة والأدب.

- عضو اللجنة العلمية لموسوعة علماء وأدباء العرب والمسلمين بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

- مستشار مكتبة الإسكندرية منذ عام 2003م.

- انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية عام 2003م، في المكان الذي خلا بوفاة الدكتور بدوي طبانة.

- أشرف على مجموعة من السلاسل في الهيئة المصرية العامة للكتاب مثل: دراسات أدبية ونقاد طبانة.

- أسهم في إقامة عدد من المؤتمرات العلمية والنقدية، وأدارها في مصر واسبانيا والبحرين ، وشارك في معظم الملتقيات العلمية العربية.

**مؤلفاته:**

- منهج الواقعية في الإبداع الأدبي 1978م.
- نظرية البنائية في النقد الادبي 1978م.
- تأثير الثقافة الاسلامية في الكوميديا الالهية لذاتي 1980م.
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته 1984م.

- إنتاج الدلالة الأدبية1987م.
- ملحمة المغازي الموريسكية 1988م.
- شفرت النص بحوث سيميولوجية 1989م.
- ظواهر المسرح الإسباني 1992م.
- أساليب السرد في الرواية العربية 1993م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص 1993م.
- أساليب الشعرية المعاهدة 1995م.
- أشكال التخيل من فتات الحياة والأدب 1995م.
- مناهج النقد المعاصر 1996م.
- قراءة الصورة وصور القراءة 1996م.
- عين النقد على الرواية المعاصرة 1997م.
- نبرات الخطاب الشعري 1998م.
- تكوينات نقدية ضد موت المؤلف 2000م.
- شعرية السرد2002م.
- تحولات الشعرية العربية 2002م.
- الإبداع شراكة حضارية 2003م.
- وردة البحر وحرية الخيال الأنثوي 2004م.
- حواريات في الفكر الأدبي 2004م.
- جماليات الحرية في الشعر 2005م.
- لذة التجريب الروائي 2005م.

- **جوائزه**

- جائزة الرابطين للإبداع في نقد الشعر عام 1997م.
- جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 2000م

**صلاح فضل /htts ://ar.wikipedia.org/wiki**

# قائمة المصادر والمراجع

**قائمة المصادر والمراجع:**

- **القرآن الكريم.**

- **المصادر:**

1. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1992.

- **المراجع :**

2. ابن جني، الخصائص، تج، محمد علي النجار، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1952.

3.ابن منظور، لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، ج2، مادة "نصص"، د ت.

4.أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربي في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، 2001.

5.أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001.

6.الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صخر، دار المعارف، القاهرة، (د ت) ، (د.ط).

7.بول ريكور، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعني، تر : سعيد الغامدي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006.

8.بول ريكور، نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ت: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2003.

9.تزفيتان تودوروف، الشعرية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1987.

10.ج. ب. براون ويول، تحليل الخطاب، تر: مصطفى لطفي الزليطي، ومنير التريكي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1997.

11.الجرجاني ، دلائل الإعجاز، تح: عبد المنعم الخفاجي، مكتبة القاهرة، ط1، 1969.

12.جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1978.

13.جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1987.

14.جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1997.

15.جون لاينر، اللغة والمعنى والسياق، تر: د عباس صادة لوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة ،آفاق عربية، العراق، ط1، 1987.

16.الجوهري، الصحاح، تح : إميل بديع يعقوب، د: محمد نبيل الطريفي،ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، (د.ت).

17.جيرار جنيت، مدخل لجامع النص، ت: عبد الرحمان أيوب، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، ط2، 1986.

18.جيرار جهامي، موسوعة مصطلحات ابن رشد الفيلسوف، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2000.

19.الخديري أحمد، من النص إلى الجنس الأدبي، الفكر العربي المعاصر، العدد المزدوج 54-55، مركز الإنماء القومي، بيروت /باريس،1988.

20.داميل يعقوب، بسام بركة، مي شيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987.

21.روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، علم الكتب، القاهرة، ط1، 1988.

22.زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسين بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003.

23.الزمخشري، الكشاف، دار الفكر، بيروت، ط1، 1977.

24.الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2000.

25.سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان للنشر، ط1، بيروت لبنان 1997.

26.سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي ، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001.

27.صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة ،ط1، 2000.

28.صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1985.

29.صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2002.

30.صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلوالمصرية، مصر، ط1، 1978 .

31.عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، (د.ت).

32.عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،(د.ط) ،2006.

33.عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999.

34.عبد الله بشر، تفسير القرآن الكريم، مراجعة حامد حفني داود، مطبوعات النجاح، القاهرة، ط2، 1966.

35.عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1999.

36.عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحددة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

37.فاضل ثامر، اللغة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994.

38.فاولر روجر، اللسانيات والرواية، تر: لحسن الحمامة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997.

39.فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج25، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت ،(د.ت).

40.فولفغانغ إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجارب، تر: حميد لحميداني والجلالي الكدية، منشورات مكتبة المنهل،(د.ط) ، 1987.

41.محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، مج2، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.

42.محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1 ، 1991

43.محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز بشرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

44.منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1996.

45.ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ت: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،(د.ط) ،1967.

46.يمنى العيد، في القول الشعري، دار توبقال للنشر، المغرب،ط1، 1987.

47.يوسف أوغليسي، الخطاب النقدي عبد الملك مرتاض بحث في المنهج واشكالياته، اصدارات رابطة ابداع الثقافة، الجزائر،(د.ط) ، 2002.

- **المجلات :**

48.محمد علي الكردي ،الخطاب والسلطة عند ميشال فوكو، فصول، مج11، ع1، 1992.

- **المذكرات :**

49.ابراهيم صحراوي: الخطاب الأدبي لدى جرجي زيدان، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 1993.

- **المواقع الإلكترونية :**

50. صلاح فضل /htts ://ar.wikipedia.org/wiki

**الملخص :**

يحاول البحث إعطاء توضيح وفكرة عن الرؤية النقدية عند صلاح فضل من خلال كتابه بلاغة الخطاب وعلم النص، وذلك في دراسته للطرح النظري الذي جاء به بخصوص تصوره لمفهومي الخطاب والنص، والتطبيق الفعلي الذي قدمه في دراسته.

وهذه الدراسة تدخل في حيز دراسات نقد النقد، لأنها تدرس مصطلح الخطاب ومصطلح النص، كما تقدمهما الكتب النقدية القديمة والحديثة، العربية والغربية، وتوازن بين اضطراب المفهومين في الكتب النقدية العربية، وما ذلك إلا لأن الغرب استندوا إلى أصول المفهوم الفلسفية في تراثهم وأما العرب فقد نقلوا وترجموا المفهومين دون محاولة وصل الماضي بالحاضر، ومن ثم البناء على ذلك الأساس القوي الذي أرساه العرب القدامى.

## ABSTRACT :

The project tries to give a clear idea about the critical vision of salah fadhel in his book speech descourse and text science, in his study of the theoritical disposal that he came with concerning his view of the concepts of speech and texts, and the actual application that he presented in his study.

Besides, this study belongs to critics studies that it studies the concept of speech and the concept of text , and as old and new critical books present it, both arabic and westernian, and it balances between the two concepts, the new arabic critical books and so on ; but, the westernians based their studies on the concept's philosophical origins in their culture ,whereas , the arabs transmitted and translated the two concepts without trying to connect the past with the present, and then constructing upon that strong base that the ancient arabs put .

## فهرس المحتويات :


| | |
|---|---|
| شكر وتقدير | |
| إهداء | |
| مقدمة | أ-ج |
| **الفصل الأول : الخطاب والنص (المصطلح /المفهوم )** | |
| **أولا:** مفهوم النص والخطاب | **19-5** |
| 1- النص / الخطاب في المعنى اللغوي اللغوي | **9-5** |
| 2- النص / الخطاب من المنظور النقدي | **19-10** |
| **ثانيا:** مفهوم النص والخطاب في حقل الدراسات النقدية | **33-20** |
| 1- مفهوم الخطاب عند العرب وعند الغرب | **26-20** |
| 2- مفهوم النص بين التراث العربي والتراث الغربي | **33-27** |
| **الفصل الثاني : النص والخطاب بين النظرية والتطبيق** | |
| **أولا:** أهم المسائل النقدية في الكتاب | **48-35** |
| 1-بلاغة الخطاب | **43-35** |
| 2- نحو علم النص | **48-43** |
| **ثانيا:** النص والخطاب ودلالتهما في الكتاب | **63-48** |
| **ثالثا:** المفاهيم المرافقة للمصطلحين | **77-63** |
| 1- النص والسياق | **67-63** |
| 2-الخطاب والأسلوبية والشعرية | **72-67** |
| 3-الخطاب والقول | **77-72** |
| خاتمة | **80-79** |
| الملحق | **84-82** |
| قائمة المصادر والمراجع | **91-86** |